محمد مهدي الجواهري

ديوان الجواهري

الجزء الاول

المكتبة العصرية صيدا - بيروت

المطبعة العصرية صيدا – تشرين الأول ١٩٦٧

شرح ألفاظ هذا الجزء والأجزاء الثلاثة الأخرى وشكل كلماتها المشرف على طبعها سعيد علي .

الإهداء

الى من أحب من الناس

حببتُ الناسَ ، والأجناسَ

والدنيا التي يسمو على لذّاتها

الحبُّ للناسْ

حببتُ الناسَ والأجناسَ :

في الطفل الذي لا ينسبُ الناسَ

لأعراقٍ وأجناس

حببتُ الناسَ والأجناسَ

في المرأةِ كالأنموذجِ الحلوِ

لحبّ الناس للناس

حببت الناس والأجناسَ

في الخمرة تختالُ على أنخابهم

إذ تُقرعُ الكاس

حببت الناس في «الزنجية» الحلوةِ

من لُفّتْ وأهلوها

باكياس[1]

حببتُ الناسَ والأجناسَ :

مذشاركنا، الاحباشُ، والبربرُ، والزنجُ

باحزانٍ وأعراسْ

حببتُ الناسَ والأجناسَ :

مذ عُلّمتُ أن الناسَ اشباهُ

وأنّ النبلَ مِقياس

حببتُ الناسَ والأجناسَ :

من شبّ ، ومن شابَ

ومن أظلم كالفحمِ

ومن أشرقَ كالماس

(١) — هي حاضنة الشاعر في طفولته في النجف ، وقد اطلق عليها اسم « تفاحة » وكانت تقص عليه ما يشبه الأساطير عما احاق بها واطفالها من مآسٍ وفجائع على ايدي القراصنة من تجار الرقيق والعبيد ، وكيف شردوا في اقاصي الأرض حتى ان الواحد منهم لا يعرف الآخر حتى الممات .

حببتُ الناسَ والاجناسَ :

حُبَّ الأرضِ للفـــاس .

أو القفرةِ للآس

أو الليل لنبراس

حببتُ الناسَ والاجناسَ

حببتُ الناسَ ـ كلَّ الناس

حببتُ الناس



المقدمة

على قارعة الطريق

قال لي وقد عرج عليّ — وانا في منتصف الطريق إلى حيث اريد — أأنت مسافر مثلي ..؟

فقلت له : لا ! بل انا شريد .

قال : واين وجهتك الآن ؟..

قلت وجهتي ان اضع مطلع الشمس على جبيني واغذ في السير .. حتى إذا جنني الظلام في الليل اقمت حيث يجُنّني .. ومررت عند طلوع الفجر .

قال : والليل ليل والنهار نهار منـــذ الأزل وحتى الأبد ... افأنت مجنون ؟؟...

قلت له : لا — كما اعتقد ... ولكن أأنت جاهل ؟..

قال : و كيف ؟...

قلت له : لقد علمنا علم المكان وعلم الزمان من جديد انك كلما اغذذت السير قُدماً قصر الليل وطال النهار ... حتى ليكادان يتحدان عند المنتهى .

ولقد كنتُ اجهل مثلك هذه الحقيقة طيلة ثلاثين عاماً كنت خلالها اهيم على وجهي واتخبط في مجاهل الارض – دون معالمها – إذ كنت لا اعلم من هذا العلم شيئاً .

قال : والآن ؟؟...

قلت : والآن .. فمنذ سبعة عشر عاماً – وقد عرفت هذه القاعدة – وانا امشي إلى الامام في ضوء الشمس ...

قال : وعندما تغيم ؟؟..

فقلت له : انني لأفتح عيني اكثر لاعتاض بها عن نور الشمس وقد ازيغ وانحرف ! ويكلفني هذا تعباً يطول او يقصر على قدر انحرافي .. ولكنه ليس على كل حال اكثر مـــن التعب في ان اعود وفي ضوء الشمس من جديد ، ومن حيث ابتدأت .

قال : وماذا اكثر من التعب ؟

قلت : اكثر منه ان لا اتعب .

قال : أو لا ترتجف من البرد ؟؟

قلت : لا ... فقد تعودته حتى لا كاد ارتجف من الحر .

قال : وماذا تأكل ؟؟..

قلت : لحوم الحيوانات السائبة فإن لم تكن تقوتُ بقليل من لحمي ...

قال : لحمك ؟؟!!

قلت : اجل .. ولماذا لا .. واني لآكل من لحم اولادي ايضاً...

قال : آه ... وعندك اولاد

قلت : بلى .. وهم سبعة ومعي ايضاً في طريقي ..
قال : و كيف يطيقون هذا العناء ؟؟..

قلت : احمل العاجز منهم على كتفي ، وادع رعاية الصغير للكبير منهم ، وآكل من لحمهم واطعمهم من لحمي .. ومن مات منهم جوعاً او تعباً تركته للكلاب ..

قال : أولا يرتجفون مثلك من البرد ؟؟..

قلت : بلى .. يرتجفون .. الآن ... وسوف يتعودون ذلك .. فلا يرتجفون ابداً .

قال : أو لم تقدر ان تكسوهم ، وتطعمهم في ما تمر به على المدن ، والقرى ، والناس ؟؟..
قلت . ابداً ..
قال : ولماذا ؟؟
قلت : لانهم يريدون لذلك ثمناً ...
قال : أو تريده انت بلا ثمن ؟؟
قلت : و كيف اريده بدونه ..
قال : فلماذا ؟؟
قلت : لانني اريد لهم ولي .. ان احمل ويعملوا .. لنشبع ونكتسي ..
قال : وهم ؟؟..
قلت : هم يريدونني ان ارقص ..
قال : ترقص ؟؟!!!

قلت : اجل ، ومثل القرود تماماً .

قال : ولماذا لا ترقص ؟.. ومثل القرود ؟؟

قلت : لانني لم اوهب سعة حيلة هذا الحيوان ، وصبره على المجاراة .

***

ألك اخوة ؟..

قال لي : صديق الطريق .. هذا !!... وقد صمت ورمق الافق البعيد بعينيه .

قلت : اجل لي ثلاثة ..

قال : واين هم ؟؟

قلت : واحـــد تشرّد مثلي ، وآخر تخلّف عني في المدينة ، وثالث اكلته الحيوانات !!..

قال : أولك امّ ؟؟..

قلت : وكيف لا ؟؟!!!

قال : واين تركتها ؟

قلت : تركتها على قارعة الطريق ، وبيدها كتاب !، وابريق !، ومبخرة !!

قال : وما هذا ؟؟؟!!!

قلت : هذا من عقائدها ..

قال : عقائدها ؟!!!

قلت : اجل من عقائدها ... انها كلفتني ان اقبّل الكتاب ، وقد

حملته باليمين، فقبّلته، ولكن .. بعد ان اخذته منها بالشمال.. وارادت ان ترش الارض من حولي بالماء، ومن انبوبة الابريق .. فرشت بـــه الارض، ولكن بعد ان رفعت الابريق إلى فوق ومن فوهته !!..

قال : والمبخرة ؟

قلت : اني حطمتها .. وان والدتي لمتشائمة وحزينة من اجل ذلك .

قال : مفهوم انها حزينة، ولكن لماذا هي متشائمة ؟؟

قلت : لانها تعتقد بأنني لا ارجع اليها سالماً وقد حطمتها ..

قال : واين ولدتك امك ؟؟

قلت : على قارعة الطريق ايضاً ..

قال : أكلّ شيء على قارعة الطريق ؟؟!!!

قلت : اجل .. انها من المعتقدات بـ ـ اسطورة!! ـ «سيادة النور» و«عبودية الظلام» ... وهي ترتجف رعباً من الليل، ولذلك فهي لا تضع حملها إلا على قارعة الطريق ..

قال : وأبوك ؟

فقلت له : انه لا يشغل بالي من امره اكثر من انه كان يتحمل الألم ولكن بصمت ! بلا ثورة على الألم . وبلا تجديف . وانه كان يُغني ثم خاف فترك الميدان . وكل من هو على شاكلته من المغنين لا يشغل بالي من امرهم شيء !.

قال : ومتى عهدك بالمدينة واهلها ؟

قال : وبعد ؟؟!..

قلت : وبعد .. فقد استمروا يرقصون حتى بعد ان طردني الحاكم شر الطرد من اجلهم .. طردني انا ومن معي ...

قال : أفأنت حاقد عليهم من اجل ذلك ??..

قلت : لا ... ابداً .. بل غاضب ..

قال : أولا تريد ان تراهم ??..

قلت : ان بريق الغضب في عينيّ ليصدني عن رؤيتهم ..

***

قال لي عابر السبيل بعد هنيهة استرحت خلالهـــا من قال وقلت .

قال : وقد فهمت ان عنده ما يخاله هو شيئاً جديداً ــان هناكــ من ورائنا !! غابة" .. وارفة الظلال كثيرة الاشجار ، ناضجة الثمار ، شاخبة الغدران،... أفلا ادلك عليها فتستريح عندها..ولو بالرجوع خطوات??

قلت له عابساً : أفأنت خارج منها ??!!

قال : اجل .

قلت : أفأنت من اشباحها ??

قلت : منذ تركتها.. اما عهدي بأهلها فمنذ أن تشاجرت مع حاكمها لكثرة ما يحملهم على الرقص كالقرود .

فصمت ذاهلا ! ولما ادركت انه ليس منهم ، وانه مجرد عابر سبيل ، انحدر اليها ..

قلت له : لا .. لا ابداً .. فهل تريد ان اقص عليك امري منها ، وادع لك امرك وشأنك .. على ان نفترق بعد الآن ، لانك حديث عهد

بها ، وبأرواحها ، ولانني لا اطمئن اليك من اجل هذا ...

قال : وقد رأيت الالم الصادق ! في عينيه — موافق ..

قلت له : لقد مررت بغابتك هذه ، بعد ان كنت قد انحرفت قليلا او كثيراً — لا أدري — عن شرع الطريق الذي كنت اريده، وكان الامر في ذلك انني لقيت من على جانبي طريقي المنحرف أشباحاً و كأنها الأدلاء الى الطريق السويّ فتبعتهم — شاكراً !!! — حتى إذا توسطت الغابة استقبلتني من خلال اغصانها المتشابكة رؤوس كأنها طلع الشياطين ، واصوات كأنها حشرجة المحتضرين ، واطبق علي الظلام الذي اخافه .

ولا انكرك .

انني كنت جائعاً ، وان ثمرها كان شهياً .

وانني كنت ظامئاً ، وان ماءها كان عذباً سائغاً .

ولكنه ، مع هذا كله فقد انستني حاسة الرعب والهلع من الظلام المسيطر عليها كل الحواس الاخرى .

فلقد ادركت يا صديق الطريق العابر من بادىء الامر — بغريزتي — وليس بعقلي ان طريقاً يقف عليه الادلاء ليدلوا المارة عليه ليس هو بالطريق القويم ، فمثل هذا الطريق ما تسير انت مدفوعاً على هداه ..

ولقد علمت يا صديق الطريق العابر ان تلك الاشباح المبثوثة في طريقي إلى الغابة انما هي من ارواحها !! وان كل ما عوى علي من ذئابها !!!

وكل ما طلع علي من رؤوسها !!!

وكل ما ادمى قدميّ من اشواكها !!!

وكل ما حكّ جلدة رأسي من اغصانها وفروعها !!
كان جزءاً لا ينفك من ارواحها ايضاً .

وحتى تلك الحيوانات المتفرجة المسالمة فيها هي منها ايضاً .

وتلك الاشباح التي كانت تتسلل من خارج هذه الغابة فتتشابك مع ما في داخلها من اشباح وارواح وكأنها تريد ان تتلاعب معها! اكثر من ان تتقاتل .

حتى تلك الاشباح التي كانت وكأنها تريد ان تدفع عنها كل البطر! وفتور الدلال ! في معركتها هذه . آمنت بأنها من سلالة ارواح الغابة ومن عناصرها !

ولقد القيت تلك الارواح الشريرة ومن تابعها ترى ذلك الجنيّ الغضّ من الثمر العاجل في هذه الغابة ، والماء العذب البارد خير العوض عن الظلام الرائن عليها!

وكنت اراه مجرد ثمرٍ عاجل . ومجرد سرابٍ لامع .
وكانوا يضحكون مني . وكنت اضحك منهم !!
وعندما هز عابر السبيل هذا رأسه باستحباب كمن يريد زيادة في الحديث ...

قلت له : ومن الغريب انني كنت احمد !!! – في خطواتي الاولى إلى هذه الغابة هؤلاء الأدلاء .

وكنت لا انفك اغني إلى جانب ذلك اغاني التمجيد لنور الشمس ، وكان هؤلاء الأدلاء انفسهم –لا غيرهم– يهزون رؤوسهم واذقانهم

كالمؤمنين بما اغني .

والاغرب من كل هـــذا ـ يا صديقي العابر ـ انني حتى بعد ان وليت منهم ومن غابتهم فراراً ...

كنت اغني بحماس اكثر .. واغاني اجود في تمجيد نور الشمس ، وفي تسفيه عشّاق الظلام ..

وكانوا ـ هم وليس غيرهم ـ ايضاً يهزون رؤوسهم واذقانهم تأميناً على اغانيّ هذه ..

في حين كانوا يشيعونني معها بنظرات الاسف .

انهم كانوا يفعلون ذلك وهم يقضمون من نبات تلك الغابة واثمارها .. ثمر الظلام الذي يعيشون فيه ...

ثم يرمون ببعضها .. او ببقاياها إلى من وراءهم وحواليهم مـــن تلك الارواح .

وممن قصرت ايديهم عن ان تمتد الى اغصان اشجار الغابة .

ثم قلت : وقد انتهيت ...

والآن فوداعاً يا صديق الطريق العابر ..

قال : وداعاً ايها المغني لنور الشمس !!!

وداعاً ايها الشريد !!

وكان هذا آخر عهد لي به ، وآخر عهد له بي .

محمد مهدي الجواهري

بريد الغربة

وهي رسالة بعث بها الشاعر الى اهله الذين كانوا يعدون العدة للحاق به حيث يقيم من جيكوسلوفاكيا .

لقد أسرى بيَ الأَجلُ   وطولُ مسيرةٍ مَللُ
وطولُ مسيرةٍ من دون غايٍ مَطمحٌ خَجلُ
على أني – لأَنْ يُنهي   غدٌ طولَ السرى – وجلُ
تماهلَ خشيةً ووَنىً   وعُقبى مَهلهِ عجلُ
وقُطّعَ خطوُهُ جنفاً[1]   كما يتقاصرُ الحجلُ
أشاعَ اليأسَ بي عُمُرٌ   وكنتُ وكلهُ أملُ
وعمرُ المرءِ فضلُ مُنىً   بها ما شقَّ يحتملُ
فإن ولّتْ فلا ثقةٌ   ولا حولٌ ، ولا قِبلُ

***

(١) الجنف : الميل عن الحق . الجور .

أقولُ وربّما قَوْلٍ يُدَلُّ بـه ويُبتهلُ
ألا هَلْ تُرجِعُ الاحلامُ مـا كُحلتْ به المُقلُ
وهل يَنجابُ[1] عن عينيَّ ليلٌ مُطبقٌ أزلُ
كأنَّ نجومـهُ الاحجارُ في الشطرنج تنتقلُ
يُلاحق بعضها بعضاً فما تنفكُّ تقتتلُ
ألا هل قاطعٌ يصلُ لما عَيَّتْ به الرُسُلُ

***

ويا أحبابيَ الاغلْيْن من قَطعوا ومن وصلوا
ومن هُمْ نُخبةُ اللذّاتِ عِندي حين تُنتخلُ
هُمُ إذ كُلُّ مَن صافيتُ مدخولٌ ومُنتحل
سلاماً كلُّهُ قُبلُ كأنَّ صميمها شُعلُ
وشوقاً من غريبِ الدارِ أعيتْ دونَهُ السبلُ
مُقيمٍ حيثُ يضطربُ المُنى ، والسعيُ ،والفشلُ

---

(١) ينكشف . ينقشع .

وحيثُ يُعارِكُ البلوى فتلويــهِ ويعتدلُ
وحيثُ أديمُــهُ يَبسٌ وحيثَ جِنانُهُ خَضِلُ[1]
وإذ نَضبتْ أفاويقُ[2] الصبا فهباتُها وَشَلُ[3]

***

سلاماً من أخي دَنَفٍ تناهتْ عِندَهُ العللُ
وحيدٍ غيرَ ما شَجنٍ بلوحِ الصدْرِ يَعتملُ
وذكرى مُرةٍ حَليتْ بها أيّامُــهُ الأُوَلُ
تُعاوِدُهُ كفيءِ الظلِّ رؤياهــا وتَنتقلُ
وحيــدٍ بالذي غنّى وساقى يُضرَبُ المَثلُ
وفيا قــال من حسنٍ وسيءِ يَكثرُ الجدَلُ

***

---

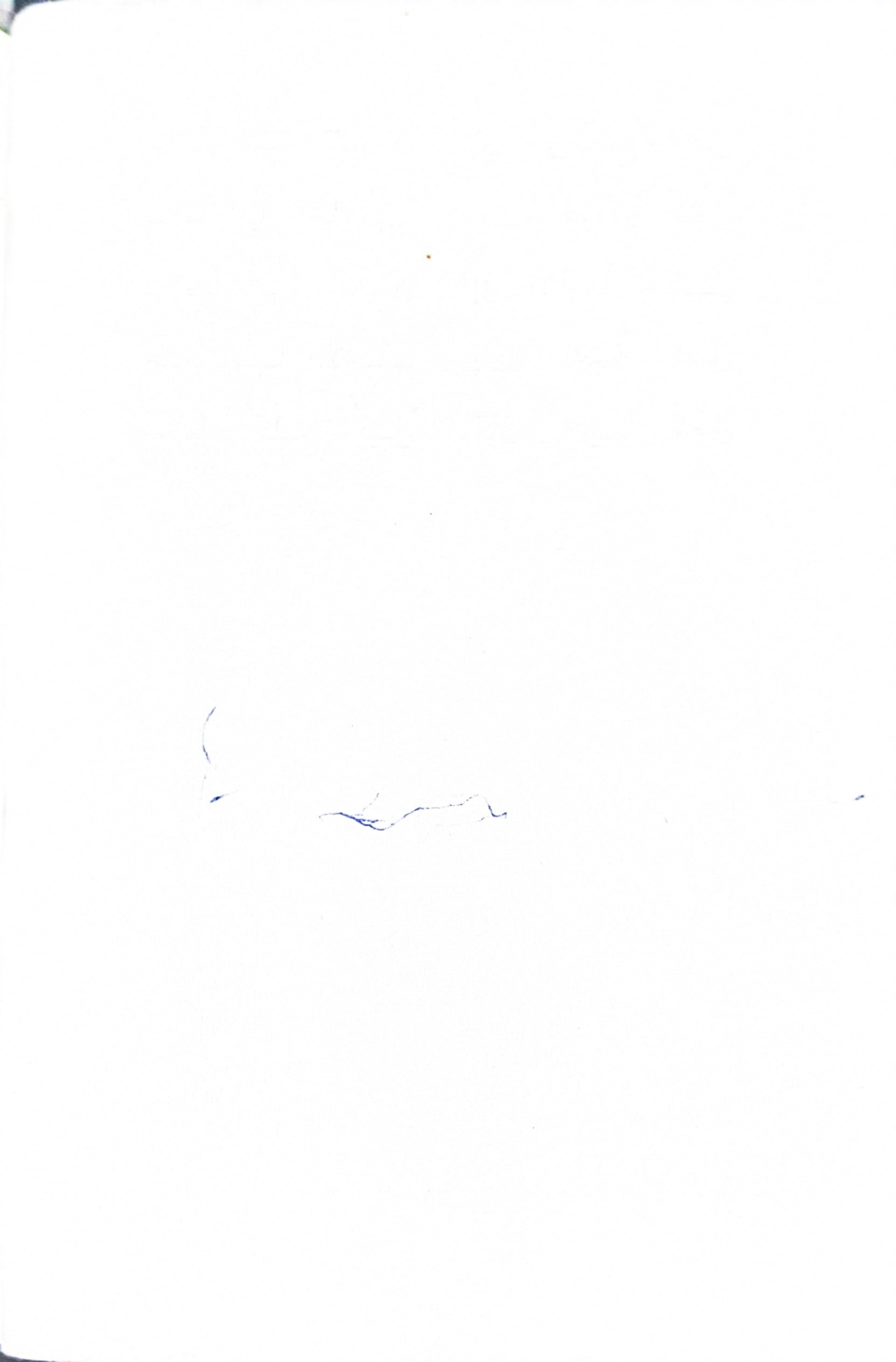
(١) الخضل : الندي

(٢) ما اجتمع من الماء في السحاب فهو يمطر ساعة بعد ساعة .

(٣) الوشل : المــاء القليل يتحلب من صخر أو جبل . القليل من الدمع .

سلاماً ايها الثاوونَ إني مُزمعٌ عَجلُ
سلاماً ايها الخالونَ إنّ هواكُمْ شُغُلُ
سلاماً ايها الندمانُ إني شاربٌ ثمِلُ
سلاماً ايها الاحبابُ إنّ محبةً املُ
سلاماً كُله قُبلُ كان صميمها شُعَلُ





يا دجلة الخير

نظمها الشاعر إثر نزوحه الى مغتربه بجيكوسلوفاكيا

حَيَّيتُ سفحَكِ عن بُعْدٍ فحيِّيني

يا دجلةَ الخيرِ ، يا أمَّ البساتينِ

حييتُ سفحَكِ ظمآناً ألوذُ به

لوذَ الحمائمِ بين الماءِ والطينِ

يا دجــلةَ الخيرِ يا نَبعاً أفارقُهُ

على الكراهةِ بينَ الحينِ والحين

إني وَرَدْتُ عيونَ المـاءِ صافيةً

نبعاً فنبعاً فما كانت لِترويني

***

وأنتَ يا قارباً تلوي الرياحُ بـه

لَيَّ النسائمِ أطرافَ الأفانينِ[1]

وددتُ ذاك الشراعَ الرَّخصَ[2] لو كَفني

يُحاكُ منه غداةَ البَيْنِ يَطويني

يا دجلةَ الخيرِ : قد هانتْ مطامحنا

حتى لأدنى طَماحٍ غير مضمونِ

أتضمنين مقيـلاً[3] لي سَواسِيةً

بين الحشائشِ أو بين الرياحينِ ؟

خُلواً مِن الهمِّ الأهمِّ خافقـةٍ

بين الجوانحِ أعنّيها وتعنّيني

---

(١) الأفنون والجمـع أفانين : الغصن الملتف . أول الشباب أو السحاب . الكلام المضطرب .

(٢) الرَّخص والرخيص : اللين والناعم .

(٣) القالة : النوم في الظهيرة .

تَهزُني فأجاريهـــا فتدفعني

كالريح تُعجلُ في دفع الطواحين[1]

★★★

يا دجلةَ الخيرِ : يا أطيافَ ساحرةٍ

يا خمرَ خابيةٍ في ظلّ عُرجون[2]

يا سكتةَ الموتِ ، يا إعصارَ زوبعةٍ

يا خنجرَ الغدر ، يا أغصانَ زيتون

يا أمّ تلك التي من ألفِ ليلتِها

للآنَ يعبقُ عِطرٌ في التلاحين

يا مُستجمّ « النوآسيِّ » الذي لبستْ

به الحضارةُ ثوباً وشيَ « هارون »

---

(١) الطاحون والطاحونة والجمع طواحين : الرحى . بيت الطحن.

(٢) العرجون والجمع عراجين : أصل العذق الذي يعوج ويبقى على النخل يابساً بعد أن تقطع عنه الشماريخ .

الغاسلِ الهمَّ في ثَغرٍ ، وفي حَبَبٍ[1]

والمُلبسِ العقلَ أزياءَ المجانين

والساحبِ الزِّقَّ يأباه ويُكرهُه

والمُنفقِ اليومَ يُفدى بالثلاثين

والراهنِ السابريَّ[2] الخزَّ[3] في قدحٍ

والملهمِ الفنَّ من لهوٍ أفانين

والمُسمعِ الدهرَ ، والدنيا ، وساكنَها

قرْعَ النواقيسِ في عيدِ الشعانينِ

***

(١) الحبب : تَنَضّد الأسنان .

(٢) السابري : نسبة الى سابور . تمر طيب . درع دقيقة النسج محكمة .

(٣) الخز : الحرير . ما نسج من صوف وحرير . والجمع خزوز . وفي اللغة : خزّ التمر يخزز : كان فيه شيء من الحموضة فهو خازّ . وفي اللغة أيضاً : خز الحائطَ خزاً : وضع عليه شوكا لئلا يطلع عليه .

يا دجلةَ الخيرِ : ما يُغليكِ من حنَقٍ

يُغلي فؤادي ، وما يُشجيك يشجيني

ما إن تزالُ سِياطُ البغي ناقعةً

في مائك الطهرِ بين الحين والحين

ووالغاتٌ[1] خيولُ البغي مُصبحةً

على القرى آمناتٍ والدهاقين

يا دجلةَ الخير : أدري بالذي طفحتْ

به مجاريك من فوقٍ الى دونِ

أدري على أيِّ قيثارٍ قد انفجرتْ

أنغامُكِ السمرُ عن أنّاتِ محزون

أدري بأنكِ من ألفٍ مضت هدَراً

للآنَ تهزينَ من حُكم السلاطين

---

(١) ولغ ، بفتح العين وكسرها ، الكلبُ الإناءَ أو في الإناء : شرب ما فيه . والمستولغ من الناس : الذي لا يأبه بالمذام.

تَهزين أنْ لم تزلْ في الشرقِ شاردةً

من النواويس[1] أرواحُ الفراعين

تهزينَ من خِصبِ جناتٍ منشّرةٍ[2]

على الضفاف ، ومن بؤس الملايين

تهزين من عُتقاءٍ يومَ ملحمةٍ

أضفوا دروعَ مطاعيمٍ مطاعين

الضارعينَ لأقدار تحلُّ بهم

كما تلوّى ببطنِ الحوتِ ذو النون

يرونْ سُودَ الرزايا في حقيقتِها

ويفزعون إلى حَدْسٍ وتخمين

---

(١) الناووس والناؤوس والجمع نواويس : مقبرة النصارى . ويطلق على حجر منقور تُجعل فيه جثة الميت .

(٢) نشّر الشيء : مدده وبسّطه . ونشّر عن المريض أو المجنون : عوّذه بالنشْرة التي هي رقية يعالج بها .

والخائفين إجتداعَ[1] الفقرِ ما لهمُ

والُمفضلين عليه جدعَ عِرنين[2]

واللائذينَ بدعوى الصبرِ مجبنةً

مُستعصمين بحبلٍ منه موهون

والصبرُ ما انفكَّ مرداةً لمحتربٍ

ومستميتٍ ، ومنجاةً لمسكين

يا دجلةَ الخير : والدنيا مُفارقةٌ

وأيُّ شرٍّ بخيرٍ غيرُ مقرون

وأيُّ خيرٍ بــلا شرٍ يُلقِّحه

طهرُ الملائكِ من رِجْس الشياطين

يا دجلةَ الخيرِ : كم من كنزِ موهبةٍ

لديك في « القمقم » المسحور مخزون

---

(١) الجدع : القطع

(٢) العزنين والجمع عرانين : الأنف كله أو ما صلب منه .

لعلَّ تلك العفاريتَ التي احتُجِزَت

محمَّلاتٌ على أكتافِ « دُلفين »[1]

***

لعل يوماً عصوفاً جارفاً عرِهـاً

آتٍ فتُرضيك عُقباه وتُرضيني

يا دجلةَ الخيرِ : إن الشعرَ هَدهدةٌ[2]

للسمعِ ما بينَ ترخيمٍ وتنوين

عفواً يُردِّد في رَفْهٍ[3] وفي عَلَلٍ[4] ..

لحنَ الحياةِ رخيّاً غيرَ ملحون

---

(١) الدلفين والجمع دلافين : دابة بحريـــة كبيرة ، ومرادفه في العربية : الدُّخس.

(٢) الهدهدة : دويّ هدير الحمام .

(٣) الرفه : اللين .

(٤) العَلل : الشرب الثاني .

يا دجلة الخير : كان الشعرُ ، مُذ رَسمت

كفُّ الطبيعة لوحاً ، سِفرَ تكوين

مِزمارُ داودٍ أقوى من نبوّتهِ

فحوىً ، وأبلغُ منها في التضامين

يا دجلةَ الخير : لم نُصحب لمسكنةٍ

لكن لنلمسَ أوجاعَ المساكين

هذي الخـــلائقُ أسفارٌ مجسّدةٌ

المُلهمون عليهـــا كالعناوين

إذا دجا الخطْبُ شعّت في ضمائرِهم

أضواءُ حرفٍ بليل البؤس مرهون

دينٌ لزامٌ ، ومحسودٌ بنعمتهِ

من راح منهم خليصاً غيرَ مديون

***

يا دجلة الخير : ما أبقيتُ جازيةَ

لم أقضِ عندي منها دَيْنَ مديون

ما كنتُ في مَشْهَـــدٍ يَعنيك مُتَّهماً
خِبّاً[1] ، وما كنتُ في غيب بظِنّين
وكان جُرحُكِ إلهــامي مُشارَكَةً
وكان ياخذُ من جُرحي ويُعطيني
وكان ساحُكِ من ساحي اذا نزلت
به الشدائد ، أقروه[2] ويقروني
حتى الضفادعُ في سفحيكِ سارِبـةً
عاطيتُها فاتناتٍ حبَّ مفتون
غازلتُهنَّ خليعاتٍ وإنْ لبست
من الطحالب[3] مزهوَّ الفساتين
يا دجلةَ الخير : هلّا بعضُ عارِفَةٍ
تُسدى إليَّ على بُعدٍ فتجزوني

---

(١) الخِبّ والخَب : الخدّاع .

(٢) قرا الأمر يقروه قرواً : تتبعه

(٣) الطحلُب : نبات لونه شديد الخضرة له ساق وورق وليس له جذور حقيقية ، وهو ينمو في الأماكن الرطبة .

يا دجلةَ الخيرِ : مَنيِّني بعاطفةٍ
وأَلْهِميني سُلواناً يُسَلِّيني

يا دجلةَ الخيرِ : خلِّي الموجَ مُرتفقاً
طيفاً يمر ولو بعضَ الأَحايين

وحمِّليه بحيثُ الثلــجُ يغمرني
دفءَ الكوانين ،أو عطر «التشارين»

★★★

يا دجلةَ الخيرِ : يا من ظلَّ طائفُها
عن كل ما جلت الأَحلامُ يُلهيني

لو تعلمين بأطيــافي ووحشتِها
وددتِ مثلي لو انَّ النوم يجفوني

أجسُّ يقظانَ أطرافي أعــالجُها
مما تحرَّقت في نومي بأُتُّون

وأستريحُ إلى كوبٍ يُطَمِّنُني
أن ليس ما فيه مِن ماءٍ بغِسْلين[1]

---

(١) الغسلين : ما يسيل من جلود أهل النار ولحومهم ودمائهم فكأنه من هذا القبيل صديد .

وألمسُ الجُـــدُرَ الدكناء تُخبرني

أنْ لستُ في مَهْمَهٍ[2] بالغِيل[3] مسكون

يا دجلةَ الخير : خلّيني وما قَسمت

لي المقاديرُ من لدغ الثعابين

الطالحاتُ فما يبعثْنَ صالِحةً

ولا يُبَعثرن إلاّ كلَّ مأفون

والراهناتُ بجسمي يَنْتَبِشن به

نبشَ الهوامِ[4] ضريحاً كلَّ مدفون

★★★

واهاً لنفسيَ من جمعِ النقيضِ بها

نقيضَه جمْعَ تحريكٍ وتسكين

---

(١) المهمه والجمع مهامه : المفازة البعيدة والبلد المقفر . وفي اللغة : تمهمه عن الشيء : امتنع و كف .

(٢) الغول والجمع أغوال وغيلان : حيوان أسطوري أو هو مـا يتلون ألواناً من السحرة والجن . ويقال : تغوّل فلان : تلون .

(٣) الهوام : الأسد .

جنباً إلى جنب آلامِ أقطِّفُها
قَطْفَ الجياعِ جَنى اللذّاتِ يزهوني

وأركبُ الهوْلَ في ريعانِ مامنَةٍ
حبُّ الحياةِ بحبِّ الموتِ يُغريني

غُوْلاً تسنّمتُ لم اسألْ أكارِعَـــه
إلى الُهوى، أمْ على الواحات ترميني

وما البطولاتُ إعجازٌ وإنْ قنعت
نفس الجبانِ عن العلياء بالُهوْن[1]

وإنّما هي صفوٌ منْ ممارَسَةٍ
للطارئات ، وإمعانٍ ، وتمرين

لا يُولَدُ المرءُ لا هرّاً ولا سُبُعاً
لكن عصارة تجريبٍ وَتلقين

***

يا دجلة الخير : كم معنى مزجت له
دمي بلحمي في أحلى المواعين

---

(١) الهون : الخزي

أَلفيتُه فَرْطَ ما ألوى اللواةُ بـــه

يشكو الأَمرَّين من عُسفٍ ومن هُون

أجرَّه[1] الشوكَ ألفاظٌ مُرَصَّفةٌ

أجرَّها الشوكَ سجعٌ شِبهُ موزون

سهرتُ ليلَ «أخي ذبيانَ» أحضنُه

حضْنَ الرواضع[2] بين العت[3] واللين

أُعيد من خلقِـــه نحتاً وخضْخضةً

والنجمُ يَعْجَبُ من تلك التمارين

حتّى إذا آضَ[4] ريَّانَ الصِبا غَضِراً[5]

مهوى قلوبِ الحسانِ الخُرَّدِ[6] العِين[7]

---

(١) أجرَّه السهمَ : رماه به وتركه فيه .

(٢) الراضع والراضعة جمعها رواضع . (٣) العتت : الشدة .

(٤) آض يئيض أيضاً : صار . وتأتي بمعنى عاد فتكون كلمة أيضاً بمعنى العودة والتكرار والمراجعة .

(٥) الغضر : ما كان خصباً طيب العيش .

(٦) الخرود والخريد والجمع خرائد وخرد وخرُد : البكر التي لم تمس . وصوت خريد معناه أنـــه لين عليه حياء . وأخرد الغلام بمعنى استحيا وسكت من ذل لا من خياء .

(٧) العيناء والجمع عِين : من عظم سواد عينها في سعة .

أتاح لي سُمَّ حيَّـــاتٍ مُرَقَّطةٍ

تدبُّ في حَمَأٍ[1] بالحقدِ مَسْنون[2]

فهل بحسْبِ الليالي من صدى ألمي

أني مَضيغَةُ أنيابِ السراحين[3]

الآكلين بِحمي سُمَّ أغرِبةٍ[4]

وغُصَّةً في حلاقينِ الشواهين[5]

---

(١) الحمأ والحمأة : الطين الأسود .

(٢) حمأ مسنون : منتن . وتأتي مسنون بمعنى الناعم الصقيل . وحين نقول : رجل مسنون إنما نعني أنه مخروط الوجه أو أن في وجهه وأنفه طولا .

(٣) السرحان والجمع سِراحٍ وسَراحٍ وسراحين : الذئب

(٤) أغربة : جمع غراب ، ويأتي الجمع كذلك غِربان وأغرب وغُرْب .

(٥) الشاهين والجمع شواهين وشياهين : طائر من جنس الصقر طويل الجناحين .

والساترينَ بشتمي عُرْيَ سوأتِهم[١]
كخصف[٢] حوّاء دَوْحَ التوتِ والتين
والعائشين عـــلى الأهواء مُنزلةً
على بيانٍ بلا هـــديٍ وتبيين
والمائتينَ وقد هيضت[٣] ضمائرُهم
بواخزٍ معهم في القبرِ مـــدفون

* * *

صَنَّاجةَ[٤] الأدبِ الغالي ، وكم حِقَبٍ[٥]
بها المواهبُ سِيمَت[٦] سَوْمَ مَغبون

---

(١) السّوأة والجمع سَوءات : الفاحشة . الخلة القبيحة .

(٢) يقال : خصف النعل خصفاً بمعنى أطبق عليها مثلها وخرزهـــا بالمِخصف .

(٣) هـاضه الألم : عاوده مرة بعـد أخرى . وهيّضه : كسّره أو هيّجه .

(٤) الصنّاجة : آلة طرب أشبه بالطبل .

(٥) الحِقبة وجمعها حِقب : مدة من الوقت . السنة .

(٦) سامه خسفاً : أذله . وسامه الامر : كلّفه إياه . وسام السلعة : عرضها وذكر ثمنها .

ومُنْزِلَ السِوَرِ البتراء لاعِنَةً
من لم يكن قبلَها يوماً بملعون
جوزيت عنها بما أنت الصليُّ به
هذا لَعمري عطاءٌ غيرُ ممنون !!
ماذا سوى مثلِ ما لاقيتُ تأملُهُ
شمُّ العرانين من جدعى العرانين
حامي الظعائن[1] لا حمدٌ ولا مِقةٌ
وقد يكون عزاءً حمدُ مظعون
لمن ؟ وفيم ؟ وعمّن انت محتمل
ثقل الديات من الأبكار[2] والعُون[3] ؟
ويا زعيماً بأن لم يأته خَبَرٌ
عمّا يُنشَر من تلك الدواوين

---

(١) ظعن ظعناً : سار ورحل . وأظعنه : سيّره . والظّعان : الحبل الذي يُشد به الهودج . ويقال : هؤلاء ظعائنه ، أي نساؤه .

(٢) البكر والجمع أبكار : العذراء .

(٣) عانت المرأة عوناً : صارت عَواناً أي في منتصف عمرها . وجمع العوان : عُوْن .

لك العَمَى ومتى احتجتَ بأن قعدتْ

عن الموازين أربابُ الموازين

بل قـد مشت لك كالإصباح عابقةً

وأنت تحذرها حذرَ الطواعين

كفرتُ بالعلم صَفرَ القَلبِ تحمِلُه

للبيعِ في السوقِ أشباهَ البراذين[1]

كانت عباقرةُ الدنيا وقادتُها

تأتي المورّقَ في أقصى الدكاكين

تلم ما قـد عسى أن فات شاردُه

عنها ولو كان في غُيَّابةِ الصين

لهفي على أمـةٍ غاض الضميرُ بها

من مدعي العلم ، والآداب ، والدين

موتى الضمائرِ تعطي الميتَ دمعتَها

وتستعينُ على حيٍّ بسكّين

---

(١) البرذون والجمع براذين : دابة الحمل الثقيلة .

لا بُدَّ معجلةً كفُّ الخرابِ به

بيتٌ يقوم على هذي الأساطين

***

جُبْ أربعَ النقد ، واسأل عن ملاحمِها

فهل ترى من نبيغٍ غيرَ مطعون

وقفْ بحيث ذوو النزعِ الأخيرِ بها

وزُر قبورَ الضحايا والقرابين

ترَ الفطاحلَ في قتلٍ على عمدٍ

همُ الفطاحلُ في صوغ التابين

من ناكر علماً تُهدى الغواةُ بهِ

حتى كأن لم يكن في الكافِ والنون

أو قارنٍ باسمهِ خُبْثاً ومَلاءَمَة

من ليس يوماً بضبعيه[1] بمقرون

تشفّياً : إنَّ لمحَ الفكرَ منطلقاً

قذىً بعين دعيٍّ الفكرِ مافون

(١) الضبع : وسط العضد .

عادى المعاجمَ وغدٌ يستهين بها
يُحصي بها « أبجدياتٍ » ويعدوني
شُلَّت يداك وخاست ريشةٌ غفلت
عن البلابلِ في رسم السعادين
★★★

يا دجلةَ الخير : ردَّتني صنيعتها
خوالجٌ هُنَّ من صنعي وتكويني
إن المصائب طوعاً أو كراهيةً
أعدْنَ نَحتي ، كما أبدَعْنَ تَلويني
أرَيْنني أن عندي من شوافعها
إذا تباهى زكيٌّ ما يزكيني
وجب شتى مقاييسٍ أخذت بها
مقياسُ صبرٍ على ضرٍّ وتوطين
وراح فضلُ الذي يبغي مباهلتي[1]
نُعْمَى تعنّيه ، من بؤسي تعنيني
★★★

(١) باهل بعضهم بعضا : تلاعنوا

يا دجلةَ الخيرِ : شكوى أمرُها عَجَبٌ

إنَّ الذي جئتُ أشكو منه يشكوني

ماذا صنعتُ بنفسي قد أحقتُ بها

مالم يُحِقْهُ بـ«روما» عَسْفُ« نيرون »

ألزَمْتُها الجدَّ حيثُ الناسُ هازِلَةٌ

والَهزْلُ في موقفٍ بالجدِّ مقرون

وسمتُها الخسْفَ[1] أعدى ما تكون له

وأمنعُ الخسفَ حتى من يعاديني

ورحتُ أظمي وأسقي من دمي زُمراً

راحت تُسقِّي أخا لؤمٍ وتُظميني

وقلتُ بالزُهدِ أدري أنَّه عَنتٌ[2]

لاالزهدُ دأبي ، ولا الإمساكُ مِن ديني

---

(١) سامه خسفاً : كلفه المشقة وأهانه . والخسْف : الذل والنقيصة . والُخسف : الإذلال .

(٢) عَنِت عنتاً : وقع في شدّة . وعنّته : شدّد عليه . وعنّت في الجبل : صعّد فيه .

خَرْطُ القَتادِ[1] أُمنّيها وقد خُلِقَتْ
كيما تنامَ على وردٍ ونسرينِ[2]
حراجةٌ لو يُرى حمـــدٌ يرافقُها
هانتْ وقد يُدرّى[3] خطبٌ بتهوينِ
لكنْ رأيتُ سِماتِ الخيرِ ضائعةً
في الشرِّ كاللثغ بين السينِ والشينِ
ما أَضيعَ الماسَ مصنوعاً ومنطبعاً
حتّى لدى أَهلِ تمييزٍ وتثمينِ

***

يا دجلةَ الخير : هل أَبصرتِ بارقةً
أَلقَتْ بلمحٍ على شطّيكِ مظنونِ ؟
كم هي العمرُ ومضٌ من سنى عدمٍ
ينصبُّ في عَدَمٍ في الغيبِ مكنونِ

---

(١) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . وخرط القتاد مثل يضرب لما لا يُنال إلا بجهد جهيد

(٢) النسرين : ورد أبيض زكي .

(٣) درّاه وادّراه وداراه : لاطفه

يا دجلة الخير : ليتَ الشكَّ منجلياً

حقيقــــةً دون تلميحٍ وتخمينِ

أكاد أَخرجُ من جلدي إذا اضطربتْ

هواجس بين إيقـــان وتظنين

أقول لو كُنز قارونٍ وقد علمتْ

كفّاي أَن ليس يُجدي كنزُ قارون

أَقول : ما كنزُ قارونٍ ، فيدمغني

أَنَّ الخصاصةَ من بعض السراطين

أَقول : ليت كفافاً والكفافُ به

رحبُ الحياةِ ، وأَقواتُ المساجين

أَقولهنَّ وعندي عِــلْمُ ذي ثقةٍ

ان ليس يؤْخذ مقدورٌ بتلقين

وأنَّما هي نفسٌ همُّ صاحبها

انْ لا تُصدِّقَ مدحوضَ البراهين

لم يُوهبِ الفكرُ قانونــاً يُحصّنُه

من الشرور ومن سُخْفِ القوانين

***

يا نازحَ الدارِ ناغِ العُودَ ثانيــةً

وجِسَّ أوتارَه بالرفقِ واللّين

لعلَّ نجوى تــداوي حرَّ افئدةٍ

فيها الحزازاتُ تغلي كالبراكين

وعل عقبى مناغاةٍ مُخفّفة

حمى عناترِ «صفين» و «حطين»

ويا صدى ذكرياتٍ يستثرن دمي

بهزةٍ جَمّــةِ الألوان تعروني

أشكو المرارةَ من إعناتِ جامحةٍ

منها إلى سمحــةٍ برٍّ فتُشكيني

مثلَ الضرائرِ هذي لا تطاوعني

فاستريح إلى هــذي فتوويني

***

ويا مُقيلاً عــلى غربيِّها أَبداً

ذكراه تعطف من عودي وتلويني

عشُّ الأَهازيجِ من سجعي يُردِّدها

سجعُ الحمامِ وترجيعُ الطواحين

وسِدْرةٌ نبعُها خضدٌ[1] ، وساقيةٌ
وباسقُ النخلِ معقوفُ العراجين

ومُسْتدقٌ صخورٍ من مآبرهـا
رؤىً تظلُّ على الحالينِ تشجيني

من أنمل الغيد في حسنٍ تُتممه
فإن تعرَّتْ فمن أنياب تنّين

يا مجمعَ الشملِ من صحبٍ فُجعت به
وآخرٍ رحت أبلوه ويبلوني

ويا نسائمَ أصباحٍ تُصفّق لي
ندى الغصون بليلاتٍ وتسقيني

ويا روى أُصلٍ[2] نشوى تراوحني
ويا سنى شفق حـلوٍ يغاديني

ويا مَداحـةَ رملٍ في مَخاضتها
راحت أُصيبيةٌ تلهو فتُلهيني

---

(١) الخضد : كل ما قطع من العود أو تكسر . الضمور في الثمار .

(٢) الأصيل والجمع آصال وأصائـل وأُصل وأُصلان : الوقت بين العصر والمغرب أو العشي .

وضجَّةٌ من عصافيرٍ بهــا فزعٌ
علــى أكنتها بين الافانين
ومنطقٌ ليس بالفصحى فتفهمَـه
يوماً وما هو مـــن حسنٍ بملحون
لا ضير كلٌّ أخي عشٍ مفارقُه
وأيٌّ عشٍّ من البـــازي بمــأمون

***

ويا ضجيعَي كرىً أعمى يَلفُّهما
لــف الحبيبين في مطمورةٍ دُون
حسبي وحسبُكما من فرقةٍ وجوىً
بلاعـــج[1] ضرم[2] كالجمر يكويني
لم أعـــدُ أبوابَ ستين ، وأحسبُني
هِمَّـــا[3] وقفتُ على أبوابِ تسعين

---

(١) اللاعج والجمع لواعج : الهوى المحرق .

(٢) الضَّرَم : الحطب يرمى به النار .

(٣) هَمَّ الرجل هُمُومة وهَمَامة : صار هِمًّا ، أي شيخاً فانياً كأنه قد ذاب في الكبر . والجمع اهمام .

يا صاحِـــبَيَّ إذا أبصرتُ طيفَكُما
يمشي إليَّ على مَــهَلٍ يحيِّيني
أطبقتُ جَفْناً على جَفنٍ لأُبصِرَهُ
حتى كأنَّ بريــقَ الموتِ يُعشيني
إني شَمِمْتُ ثرى عَــفنا يضمكُما
وفي لهاثيَ منـــه عِطْرُ دارين[1]
بنوةً وإخاءً حلفَ ذي ولَـــعٍ
بتربــةٍ في الغَدِ الداني تغطيني
لقد وددتُ وأسرابُ المنى خــدع
لو تسلمانِ وأنَّ الموتَ يطويني
قد متُّ سبعينَ موتاً بعد يومكما
يا ذلَّ من يشتري مــوتاً بسبعين

---

(١) دارين : بلد بالبحرين مشهور بعطره . ومن شواهد ابن عقيل هذا البيت :

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم
ويرجعن من دارين بجر الحقائب

والعياب هي أوعية المسك

لم أقوَ علـى شجوٍ[1] يرمضني

حرّان[2] في قفصِ الاضلاعِ مسجون

تصعّدتْ آهِ من تلقاءِ فطرتهـا

وأردَفتْ آهـةٌ أخرى بآمين

ودبَّ في القلب من تاموره[3] ضَرَمٌ

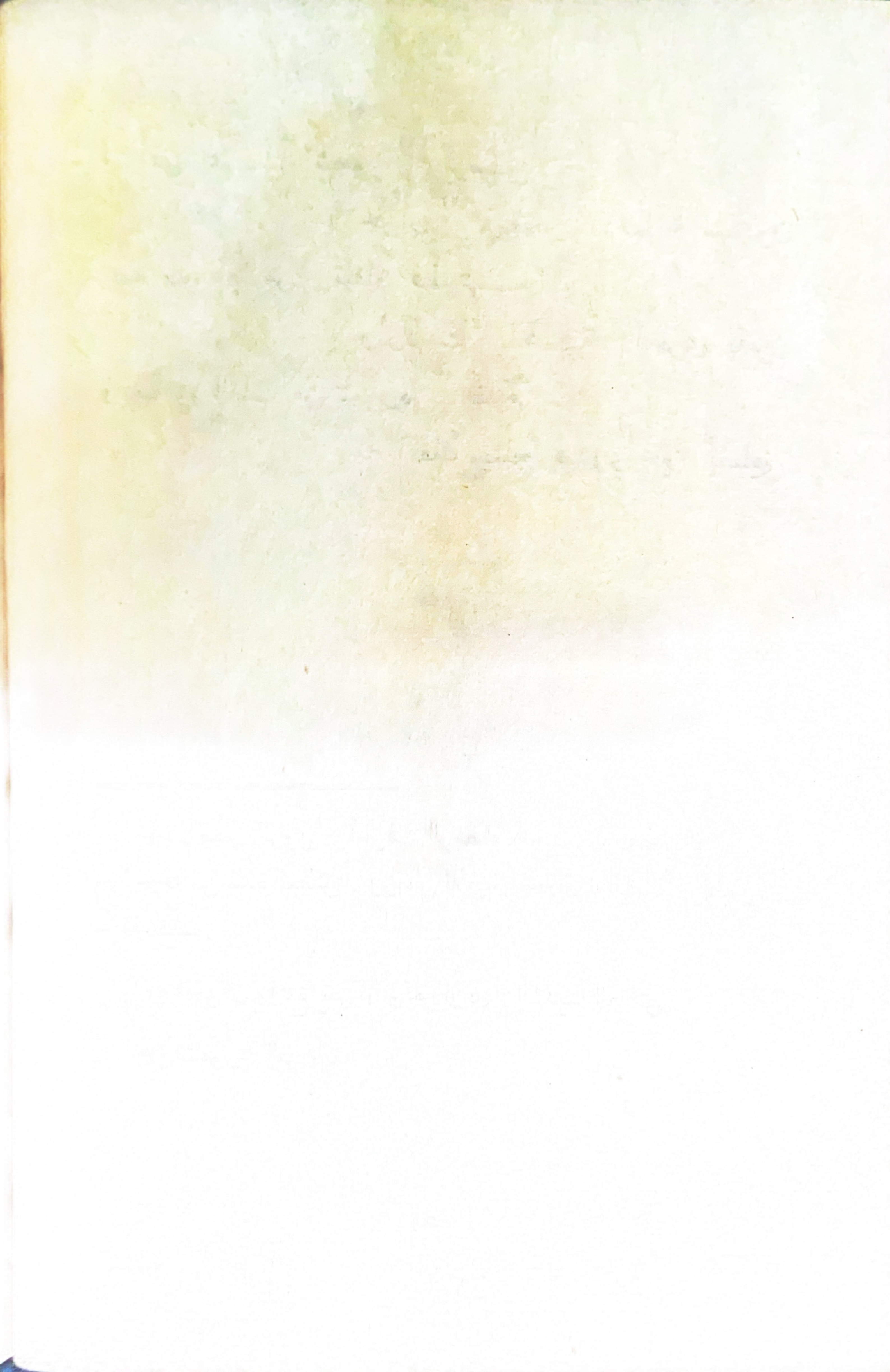
ما انفكَّ يثلُجُ صدري حين يُصليني

---

(١) رَمَضَ الرجلُ : أحرقت الرمضاءُ قدميه . ورمض الطائرُ : حرّ جوفه من شدة العطش . ورمض للأمر : احترق له غيظاً. والرّمَض: حرقة القيظ .

(٢) الحرّان والجمع حِرار وحَرارَى : الشديد العطش .

(٣) التامور : القرن .



الخطوب الخلاقة أو معركة المصير

دَعِ الطَّوارِقَ كالأَتونِ تَحْتَدِمُ
وَخَلِّها كحَبيكِ النَّسْجِ تَلْتَحِمُ

وَخُذْ مكانَكَ منها غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
دَهْدَى[1] بكَ الموْجُ أو عَلَّتْ بكَ القِمَمُ

كفاكَ والخَطْبُ فخراً أَنْ تُصارِعَه
إنَّ المُصارِعَ أَنّى صارَ مُحْتَرَمُ

ومِثْلَ بلواكَ في غُمَّى[2] تدافِعها
تكونُ عُقْباكَ إذْ تُسْتَكْشَفُ الغُمَمُ[3]

---

(١) دَهْدَهَ وَدَهْدَى الحجرُ فتدهده وتدهدى : دحرجه فتدحرج.

(٢) الغَمّى : الشدّة . الظلمة . الغبرة .

(٣) الغُمّة والجمعُ غُمَم : كل شيء يستر شيئاً. يقال : هو في غُمّة: أي في حيرة ولَبْس .

تعسَّرَ الصبحُ واستعصتْ ولادتُهُ
حتى تشابكتِ الأَنوارُ والظُّلَمُ

تبارك الخطبُ تبلوه وتحصدُه
إنَّ الخطوبَ إذا ما اسْتُثْمِرَتْ نِعَمُ

عودُ الرجالِ بكفِّ الخطبِ يعجمُهُ
كالمَنْدَلِ[1] الرَّطْبِ يذكوحينَ يضطرمُ

خُضِ الكوارِثَ لا نِكْساً[2] ولا جَزِعاً
واترك إلى الغيب ما يجري بهِ القلمُ

لو كان يُضْمَنَ نصرٌ قَبْلَ موعِدِهِ
لكان أَرْخَصَ ما في الأَنفسِ الهِمَمُ

إني وجدتُ الليالي في تصرُّفها
تأوي إلى حكم عدلٍ . . وتحتكم

---

(١) المَنْدَل والجمع مَنادِل : العود الطيب الرائحة .

(٢) النِّكْس والجمع أنكاس : الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه . القصير . المقصّر عن غاية النجدة والكرم .

تدسُّ في الشرِّ خيراً يُستضاءُ بـه
وتنزعُ الخـيرَ من شرٍّ ويلتئمُ

إن الشدائدَ تُستَصفَى النفوسُ بهـا
مثل الحظوظِ عـلى أصحابها قِسَمُ

يلقينَ ظلاًّ عـلى وجه فيُلتَطَمُ
ويزدحِمْنَ على وجـهٍ ويبتسمُ

يا جمرةَ الخطبِ ساقينا على ظَمَأٍ
للمُصْلِياتِ فأنتِ البـاردُ الشَّبِمُ [1]

***

قالوا أتتْ أزْمَةٌ جُلّى فقلتُ لهُم
أهلاً وسهلاً فنِعْمَ الطارقُ الأُزَمُ [2]

---

(١) الشَّبِم : البارد . يقال : شَبِمَ الماءُ شَبَماً : برد . والشَّبِم : البردان .

(٢) الأزْمة والآزمة والجمع إزَم وأزْم وأزمات وأوازم : الشدّة والضيقة .

يا جارتا : من يَضِقْ ذرعـــاً بنازلةٍ

فليس منّا وإن مَتَّتْ بــه رَحِمُ

سلي بنا الأزماتِ السودَ كم غَنِيَتْ

إذ كانَ عند سوانا الفقرُ والعَدمُ

ماشئتِ فامتحني نزْدَدْ ندى وقِرىً[1]

هـــل كانَ إلاّ ليوم المحنةِ الكَرَمُ

يا جارتا : أنتِ سر في ضمائرنا

وأنتِ بــين العروق الثائراتِ دَمُ

عشنا وإيّاكِ أحقاباً مناوبةً

ننسلُّ منكِ على رفقٍ وننسجم

حلّي بنـــا تجدي من أزمة قدماً

عفّى عـــلى رسمِها من أزمةٍ قدمُ

***

(١) القِرَى : ما يُقدّم للضيف ، والفعل : أقرى يقري إقراءً .

(٢) عَفّت الريح المنزل : درسته ومحته . وعفّت العلّة صاحبها : اهلكته . وعفّى على ما كان منه : أصلح بعد الفساد .

ويا « أبا خالدٍ[1] » أنْ يَلْتَهِب بفمِي
قولٌ . فانّي لكلّ الثـائِرين فَمُ

يا « ناصرَ » الأمّةِ الكبرَى وحاضنها
لا العجبُ يملأ بُرْدَيْهِ[2] ، ولا البَرَمُ[3]

ويا شريكاً بما يُزْهَى الشريكُ به
يَلمُّ نُعمى على بؤسَى ويَقْتَسِمُ

ويا فتاها ، ويا حامي فتوتها
لا نال منك ولا من مجدِها الهَرَمُ

ناشدْتُكَ العروةَ الوُثقى بما انْتَفَضَتْ
به الشعوبُ ، وما صِينَتْ به الأُمَمُ

أنقِذْ فلسطينَ مردوداً بها حَرَمُ
على ذويه ، ومركوزاً بها عَلَمُ

---

(١) هو الرئيس جمال عبد الناصر .

(٢) البُرْد والجمع بُرُود وأبراد وأبرد : ثوب مخطط .

(٣) بَرِم بَرَماً : سئم وضجر . وأبرمه : أملّه وأضجره . وتبرّم : تضجّر .

وَلَبٌّ في جنباتِ القـــدسِ صارخة
من قبلُ أدركَها في «الروم» «معتصمُ»

وطهِّرِ البيتَ من رِجْسٍ يلوِّثُه
ولن يطهِّرَهُ إلاَّ دمٌ ، ودمُ

ولن يطهِّرَه إلاَّ مُخايرة
أنْ يُعبدَ اللهُ ، أو أن يُعبدَ الصَّنَمُ

رب «لصهيونَ» عِجْلٌ صِيغَ من ذهبٍ
وربُّ «موسى» كألواحٍ له رِمَمُ [1]

***

يا منتجَ الضرباتِ البكرِ يُنزلها
على دهاقنةٍ عن مثلها عَقَموا [2]

---

(١) الرِّمّة والجمع رِمَم ورِمام : ما بلي مـــن العظام . والرميم والرُّمّام : البالي . وأما الرُّمّة التي جمعها رُمَم فالقطعة من الحبل البالي .

(٢) عقِمت المرأة أو الرحم عقماً وعقماً : كانت عقيماً لم تلد .

أَكُلَّ يومٍ جديدٌ أنت مبدعه

حتى كأن ليس في قاموسك القِدَمُ[1]

جَمّعتَ تسعين مليونا كما جمعت

لبد[2] الليوثِ على أشبالها أُجُمُ

وصُغتَ من أنهر شتى وأخلجةٍ

بحراً بمُصطخب الأَمواج يَلتطم

وصنت بالقوة الحقَ الذي دَلَفتْ

تسعون عاماً عليه وهو يُهتضم

وذاك أن الحديدَ الضخمُ قارعةٌ

في مسمعِ الدهرِ عمـــا غيره صممُ

---

(١) القِدَم : السابقة في الأمر ، يقال له قدم في هذا الأمر ، أي سابقة . والكلمة تأتي كذلك ضد كلمة الحدوث.

(٢) اللُّبْدَة والجمع لِبَد ولُبَد وألباد ولُبُود : الشعر المتجمع بين كتفي الأسد . وأبو لُبَد هو الاسد .

أدِرْ حُبالةَ رأيٍ أنت فاتلُهـــا

على الحظيرة تجمَعْ أمرَهـــا غنم

وذَوّبِ الشحمَ من كبشِ الفداءِ لها

ومدعي النصح عنها يظهر الورم

يريد صد الحتوف[1] الجائعات بهم

وان يكن ثم من حتفٍ له فَهُمُ

وحشٌ تنمّر اذ طالت أظافرُه

واليومَ يَشْخصُ[2] مشحوذاً لها الجلمَ[3]

محمق ، وبأوج الفطنـــة الأُمم

وشائخ ، وشباب حوله نظم

---

(١) الحَتف والجمع حُتوف : الموت . يقال : مات حتف أنفه أو حتف فيه أي مات من غير قتل ولا ضرب بل على فراشه .

(٢) شَخَص الشيءُ شُخوصاً : إرتفع . والجرحُ : ورم .

(٣) الجلم : آلة كالمقص تجلم الصوف . الهلال ليلة يهل وإنما وصف كذلك لانه يشبه الجلم . والفعل جلَم جلْمة واجتلم .

أَجِهزْ عليه يُعنْكَ الشرقُ ينتقم

والغرب يرزح، والأَهواء ترتصم

واستثمرِ اللعناتِ العاصفاتِ به

فأنهن جيوشٌ ليس تنهزم

هناك في المشرق الأَقصى له عنق

تكاد بالقبضات الصفر تخترم

وفي يد المشرق الأَقصي له ذنب

يلوى ، وفي غده المحتوم يصطلم

وبين هذين أوساط مرجّفة

كما ترجف خوف الغارة اللجم

ذنبَ الحضارةِ ماذا أنت مُحْتقِبٌ

في يوم تُمتحصُ الأَوزارُ والتهم

أكلَّ عارٍ يعافُ الكلبُ جيفتَه

تلفى به ما يلذ الجائــــع النهم

أقوى من الموتِ في «صاروخك» الرجم

للصارخين، ومن أسطولك الحِمَم

« تيمورُ » قبلكَ في « بغدادَ » كان له

من الجماجم في أسوارها هرم

هَبْكَ التبيع له فيما اصطلى وجنى

فهل سوى ان يواري رجسَك العدم؟

***

حِلْفاً « جمالُ » بقولٍ رِحتُ فاعلَه

وقد يُبَرُّ بِفِعْلِ المُقْسِمِ القَسَمُ

لو شئتُ صغتُ شواظ النارِ قافيةً

تأتي على كل ما تلقى وتلتهم

لكن وجدتُك كالفولاذ ضَرَّمه

طبعٌ ، فلا يتمشّى فوقه نرم

فسرت نهجَك تطغي عندي الكلمُ

فأدّريها فيُثني سيلها العرم

نهنهتها عن دم تسقاه فاكتظمت

كالطفل عن صدر أم حين يفتطم

★★★

ويا « دمشقُ » سلامٌ كلّما سجعتْ

في «الغوطتين» هَتوفٌ [1] شَفَّها نَغَمُ

مني على الربوات الخضر باكرها

سقط الندى فحواشي نبتها عمم

---

(١) حمامة هَتوف : كثيرة الهُتاف .

على السفوح ، على الوديان ناعسة

مشى بهـــا من طيوف جمة حلم

على المصابيح من «غسان» أخلصها

إلى العروبة ما نقت لها الشيم

أو في النفوس مروءات فان جرحوا

فني الأَنوفِ على ذي عزةٍ شَمَمُ

يا جبهةَ المجدِ يا قلباً ، ويا رئةً

في صدرِ كلِّ عريبٍ ما به سقم

لا تبرحنَّ خيول الله زاحفة

على عدوكَ تغشاه وينهزم

ولا تزل أريحيات مُنَشَّرَة

يهب منها بيومٍ عابسٍ نَسَمُ

ولا عدتك اليدان الثرتانِ ندى

ومنعة ، نهجك الوضاح والدِّيَم

لا بد يوُمك آتٍ يومَ تردفه
في عالم غيرِ هــذا العالم القِيَم

في يوم مأثم موتور فينتقم
في يوم تندثر الاحقـــاد والنقم

في يوم توزن أقدار لقيتها
لا الصلب يلغى، ولا السفساف[1] يغتنم

لا بد يومك آت عن غد خضل
وان موعد يوم من غد أمم

★★★

وأنت يا بنَ «زُعَينٍ» أيّها العَلَمُ
يا من تَحَضَّنَك «النيلان» والهَرَمُ

---

(١) السفساف : الرديء من كل شيء . الذي ليس لكلامه معنى . الامر الحقير . ما يرتفع من غبار الدقيق . ما دقّ من التراب . رديء الشِّعر .

اني لأطريك عن علمٍ ، وعن ثِقةٍ

ولست بمن تُمارى[1] عنده الكَلِمُ

سر في نضالك لا زلّتْ بك القَدَمُ

ولن تزلَّ وبالايمانِ تَعْتَصِمُ

صُنِ «الثغورَ» فما انفكّت اسفتها[2]

من قبل ألف بقلب الشام تلتدم

وذُدْ عن الحق إن الحقَ منطقُهُ

حمى يفيء[3] إليه العرب والعجم

بئس الدمُ المرُحكماً غيران دماً

يسعى إليك هو المحكوم والحكم

---

(١) مارى مِراءً ومُماراةً : جادل ونازع ولاجّ . والمرية بكسر الميم وضمّها : الجدل والشك .

(٢) أرض أَسفَة وأسافة : رقيقة لا تمرح بالنبات .

(٣) حتى تفيءَ إلى أمر الله — معن الآية ترجع . وتفيّأ بفيئه : التجأ إليه .

مشوا بباطلهم يبغون مصرعهم

فإن سلمت على حق فلا سلموا

لك « النور » فأطلقها على شرف

وخل تنحدر عقبان والرُّخم[1]

وقل مقالةَ صدقٍ غير مصطنع

وطالما صانع الجهالُ من علموا

في « يثرب » حرمُ الله كعبته

وفي « دمشق » لشرق زاحف حَرم

---

(١) الرّخم والجمع رُخم : طائر من فصيلة النسريات ورتبة الجوارح ريشه أبيض ممزوج بسواد وشقرة وهو يتغذى باللحوم .

إيه بيروتُ .. من جديدِ

من يوم طُرد الجواهري من لبنان لم يتح له المجيء إلى لبنان إلا قبل سبع سنوات حين أذن له فيه ليلقي قصيدته في تكريم الشاعر بشارة الخوري ، ولكن رشيد كرامي – وقد كان حتى أوائل سنة ١٩٦٨ رئيس الحكومة – اذن له في ثلاثين يوماً يقضيها بلبنان الذي سر إليه في هذه القصيدة بما كمن في نفسه وانطوى . وقد نشرها الأستاذ جبران حايك في جريدته لسان الحال غداة عام ١٩٦٨ .

من جديدٍ شَمَمْتُ عِطْرَكَ يَنْدَى

وتجنّيتُ من لقائك وَعْدا

وترامَيتُ فوقَ صدرِكَ ظمآناً

لِوِرْدٍ[1] منيّتِهِ ظل يَصْدَى[2]

---

(١) الورد والجمع أوراد : العطش . النصيب من الماء . الماء الذي يورد . الإبل أو القوم الواردون الماء . الجيش . القطيع من الطير . الجزء من القرآن يقوم به الإنسان كل ليلة .

(٢) صَدِيَ يَصْدَى : عطش شديداً ، فهو صَدٍ وصادٍ وصَدْيان . يقال : أنا صديان إلى حديثك . الصَّدَى والجمع صداء : العطش الشديد . وصَدِيَ الشيءُ يَصْدَى صَدَىً : طال .

ما تسنّى ، فردّ عنه حسيراً

وتَسَنى نبعٌ سواهُ فردا

من جديدٍ وكل حبٍ دفينٍ

ينكئ القرحَ منه ان يستجدّا

من جديد يَقر[1] مني خفوقٌ

يتنزّى[2] بين الاضالعِ وجدا

عاثر الجدِ لا تُبلِغُه

النزوةُ اطماحه ولا هو يَهدا

ظل عشرين حجةً عاريَ الروح

بما تخلعينَه يتردى

---

(١) قرّ فيه أو عليه قراراً وتقراراً : ثبت وسكن . وقرّره بالحق : أذعن واعترف به .

(٢) نزا الذكرُ على الأنثى : سفدها . ونزابه قلبُه إلى كذا : طمح ونازع إليه . تنزّى إلى الشر : تسرّع إليه . النزّيّة : ما فاجأك من شوق أو من شر .

اللیالي تُنسي ، وما انفك یقظان

اللیالي من ذكریاتٍ تُؤدّى

سِمَةٌ واجد المُدلّهِ[1] حُبّا

یَقربُ الشوقُ منه ما ازداد بُعدا

علقةٌ للجنونِ نَد ، تَعالى

الحبُ شأناً عن ان یری العقلَ نِدا

***

یا ابنةَ الدهرِ لم یعبها شباباً

ان مشتْ بالعصور جدّاً فجدا

---

(١) المُدّله : الساهي القلب الذاهب العقل من عشق ونحوه .

مرحبا بالطيوفِ تُزْجى[1]، وبالاشباح

تتوي[2] ، وباللواعجِ تُهدى

إي[3] وموجٍ من ساحليك مثيرٍ

كاشفٍ لَبَّةً[4] وصدراً ونهدا

قبلةُ الشمسِ فوقَه تنطف[5] الدفءَ

ولمحُ النجوم يرجف بردا

وشراعُ حنا عليه مسيحٍ

يمسح اليم ريثَ يَهدي ويُهدى

---

(١) أزجى إزجاءً الشيءَ : ساقه ودفعه برفق . تزَجّى بالشي : كتفى به . زَجّى حاجتَه : سهّل تحصيلها .

(٢) ليست تتوى فعلا ، إن هي إلا إسم .

(٣) كلمة — إي — حرف جواب بمعنى نعم ولا تقع إلا قبل القسم .

(٤) اللَّبّة : موضع القلادة من الصدر .

(٥) نَطَفَ الماءُ : سال قليلا قليلا . والقربة : قطرت . والنُّطْفَتان : بحران قيل هما بحر الروم وبحر الصين أو بحر المشرق وبحر المغرب . والنَّطَف : العيب .

صدّقيني إني أفجّرُ وحياً

حجراً من جبالكِ الُخضرِ صلدا

وأهزُّ الالواحَ ألقطُ همساً

من شفاه الندى واحضنُ قدّا

* * *

ايهِ[1] بيروتُ والقصيدُ عروقٌ

يتفجرن بالاحاسيس فصدا[2]

تسحق الدمعَ بسمةٌ ، ويهز ال

جرحَ جرحٌ ويمسحُ الحزنُ خدا

يتساقى بالضوء عطرٌ ، ويندا حُ[3]

على النغمةِ ظلٌ ويفسح العمقُ بعدا

---

(١) إسم فعل للاستزادة من الحديث .

(٢) فَصَدَ المريضَ فَصْداً : شقّ عِرْقه . وفَصَدَ له عطاءً : قطعه له . وأفصدتِ الشجرةُ : انشقت عيونُ ورقها وبدت أطرافها .

(٣) انداح الشيءُ : انبسط متسعاً .

ثم يَنْسَبْنَ لا يبنَّ من الدقة

حتى ليشبهَ الضدُّ ضدا

كَرُمَ الحرفُ آهةً تتلظى

فوقَ طِرْسٍ ودمعةً تتبدى[1]

كم تصدّى لنازفاتٍ جراحٍ

فتبنى لها الضمادَ فشدّا

يا ابنةَ الدهرِ نحن مهما اصطنعنا

وَشْمَ حريةٍ فنحن العِبَدّى[2]

نحن العوبَةٌ بكفِّ الليالي

وكراتٌ برجلِ طفلٍ تُدَهْدَى

* * *

---

(١) تبدّى : ظهر • خرج إلى البادية . أقام في البادية فصار بدويّاً .

(٢) العبيدّان والعباد والأعبُد من صِيَغِ جمع كلمة العبد .

ايهِ بيروتُ ما الشكاةُ بعيبٍ
إذ تكون الشكاةُ عَتباً ووِدّا
انا قيثارةٌ تغنّيك لا تطلبوا
إلّا ان ترهفي السمعَ حمدا
وإليك الخيارُ ان يُتناسى
وترٌ لم يُشدَّ ، أو أن يشدا
أنا ـ بيروتُ ـ قطعةٌ من أديمٍ
عربيٍّ دماً ولحماً وجلدا
أولدُ الضادَ ضيغماً ودعيٌّ
ابن تسعينَ يمسخُ القافَ قردا[1]

---

(١) المقصود بابن تسعين هو ساطع الحصري . أما ما حدا الشاعر على وصف هذا الرجل بما وصفه فخلاصته أن ساطع الحصري هذا قد أصدر كتاباً سطّر فيه ذكرياته السياسية والإجتماعية فاذا صار إلى ذكر الجواهري أضافه إلى الفرس إذ هو سلخه عن العرب . ولان العراق والعراقيين ما برحوا في قبضة عقد التاريخ تراهم يستنكفون عن كل قومية غير

لي ما بينَ دجلةٍ وفراتِ

ألفُ بيتٍ مُلَحّمٍ ومُسَدّى

ألف قبر كما انتظمت بحورا

أو نسجت الموشى بردا فبردا

القومية العربية ويتعالون على كل قومية لانهم عرب . ومن ثم ما نراه من انتصار الحصري حين سرّ إلى قرائه بغربة الجواهري عن العرب ، وما نراه من توتر الجواهري الذي لا مبرّر له على الإطلاق إذا كان شاعراً يرى البشر و كأنهم عائلة واحدة هو الوهم أن نصبغها بصبغة العرق أو الجنس أو الدين أو اللون أو اللغة ، وإذا شئنا العودة إلى ظاهر الامر — وقد كان ذلك باطنه — قرأنا الحصري يقول — وقد كان في سنة ١٩٢٧ مدير المعارف العام في العراق — إن الجواهري طلب إليه تعيينه معلماً للعربية وإذ علم أن جنسيته إيرانية رفض إلا أن الوزير احتال على ذلك فجنسه عراقياً. ولم تمض أيام على تعيين الجواهري معلماً حتى نظم قصيدة يمدح فيها فارس ويذم العراق فكانت السبب على ما قال الحصري ، في اصراره على فصله عن التعليم . ومن تلك القصيدة قوله :

لي في العراق عصابة لولاهم ... ما كان محبوباً إليّ عراق

لا دجلة لولاهم وهي التي ... عذبت ولا الفرات يذاق

هي فارس وهواؤها روح الصبا ... وسماؤها الاغصان والاوراق

منذ خمسين والقوافي تشقُّ الدربَ

وَعْراً ، تهدي المضلين نَجْداً[1]

كلُّ قطرٍ في العُرسِ منه وفي المأتمِ[2]

شعرٌ به يُناح ويُشدا

---

(١) النَّجْد والجمع أَنْجُد وُنجُد ونِجاد ونُجود : الطريق المرتفع الشدي . الكرب والغم . الدليل الماهر . ورجل نَجِدٌ ونَجُد والجمع بمعنى الشجاع الماضي في ما يُعجز غيره .

(٢) يقول ابن قتيبه في كتابه أدب الكاتب : إنما المأتم النساءُ يجتمعن في الخير والشر والجمع مآتم ، والصواب أن يقولوا كُنّا في مناحة ، وإنما قيل لها مناحةٌ من النوائح لتقابلهن عند البكاء ، يقال : الجبلان يتناوحان إذا تقابلا و كذلك الشجر . ثم يستشهد بهذين البيتين .

عَشِيّةَ قامَ النائحاتُ وشُقِّقَتْ جُيوبٌ بأيدي مَأْتمٍ وخُدودُ

أَمتهُ أناةٌ من رَبيعةِ عامرٍ نَؤُوم الضُّحَى في مَأْتمٍ أيّ مأتمِ

وهو يريد في نساءٍ أيّ نساء .

صامدٌ[1]، والمنيفُ يهوي، وذو

الايمانِ يرتدُّ، والمقاييسُ تردى

والموازين شِلْنُ ما هو أجدى

وترجّحْنَ بالذي هو أكْدَى[2]

تزرعُ الخيرَ راحتايَ وأجني الشوكَ

والوخزَ والحزازاتِ حصدا

وشروراً نثرتْ عفواً هباء

وجنى الزهرَ ناثرُ الشَوكِ قَصْدا

---

(١) يقول العلاّمة الدكتور مصطفى جواد في كتابه «المباحث اللغوية في العراق» إنما الصمود التحرك وليس الثبات كما هو شائع في أقلام الكتاب .

(٢) كَدَى الرجلُ يكدي كَدْياً : بخل في العطاء . وأكدى الرجلُ : افتقر بعد غنىً . لم يظفر بحاجته . والكُدْية : الإستعطاء وحرفه السائل الملح .

أنا مُذ سَد (ذو القرابةِ) في

وجهي باباً لم ألفِ عنه مَسَدّا

رُحتُ ضيفاً لامةٍ لم تلدني

كنتُ فيها الأعزّ أهلاً ووُلدا[1]

علّمتني أن المروءاتِ والنخوةَ

والمكرُماتِ تعدي وتعدى

تتمنى الكريمَ خالاً وجداً

وتَعدّ اللئيمَ خصماً ألدّا

وترى المرءَ ما يكون نبلاً

بر براً كان نَجْرُه[2] أو معَدّا[3]

---

(١) يعني بها جيكوسلوفاكيا ، فهو يقيم منذ سنين سبع في براغ وهذه خصّصت له مرتباً شهرياً على أنه لاجيء سيامي.

(٢) النّجر والنّجار والنُّجار : الأصل . الحسب .

(٣) مَعَدّ : اسم جمع أطلق على بعض القبائل العربية وخاصة على القبائل التي نشأت في شمالي جزيرة العرب منها البيعة ومُضَر .

علمتني ألّا أرى أمسِ غُنْماً

أو أعد اللّحْدَ التّراثَ المفدّى

وَهَدَتْني أن أصطفي ـ بعدُ ـ

ونهتني ان أرتضي ـ قبلُ ـ بَعْدا

قلتُ للآثمِ المُعَقَّد عِرْقاً

يتحرّى العروقَ شتماً ونقدا[1]

أنصف الخلقَ عصره وشَذاه

ـ أيها المسخ ـ لا تشوِّهْه عَمْدا

كم تسومُ الاصلابَ جمعاً وطرحاً

وتضيم الاجناسَ عكساً وطردا

كبرَ الكونُ أن يُجارى، ولكن

صغُرَ الكونُ وحدةً أن يُحدّا

---

(١) هو الحصري نفسه .

ما أقلَّ المسافَ أن تنزعَ الرقةُ

عنفاً ، ويزرعَ الحقدُ ودّا

* * *

أيها الصادحُ[1] المطارحُ[2] في الروضةِ

عشاً ، له قراح ومفدى

لك مني بثُّ المبارحِ وكراً

آيسٍ من ظلاله أن تمدا

ليس يدري اليلهُ يتعشّى

لحمَه ، أم غدٌ به يتغدّى

صوّحت أيكتي ، وهبّت أعاصيرُ

عليها ، تَلوي افانينَ مُلْدا

---

(١) صَدَحَ صَدْحاً : رفع صوته بغناء فهو صادح وصدّاح وصيدح وصيداح وصدوح .

(٢) طارحه الكلام أو الشعر أو الغناء مطارحة : ناظره وجاوبه فيه .

وتعرّت أغصانُها غيرَ بُقْيا[1]

ورقٍ عُد بالاصابعِ عَدّا

* * *

ايهِ بيروتُ والمشاعرُ نسج

تقتضيني الخيطَ الأَرَقَّ الأَشَدّا

لستُ بالصائغ الذي يتنقّى

ما يوازي رُواءَ جيدك عِقْدا

وكفى الشعرَ مفخراً حين يعيا

بالاساليبِ ، ان يُحازَ الُمؤَدّى

أنا - بيروتُ - ان طلبتُ مَحَطًّا

عند أهلي ، فلستُ أطلبُ رِفدا

---

(١) البُقيا : بقيّة . والمَبقى والجمع مباقٍ : البقاء .

غيرُكَ الثاملونَ مني فِرِنْدا[1]

فلتكوني غِمْداً يضمُّ الفَرِندا

طاف بي أمس من رُءى الغيبِ طَيفٌ

يتصدّى ، كشامتٍ يتحدّى

قال لي - والصدى يوشوش في سمعي -

كصوتِ النّعِيِّ لم يَلْقَ ردّا

لم تُخَيَّرْ مَهْداً فهل أنتَ حرٌ

ابنَ سَبعينَ ان تَخَيَّرَ لحدا

* * *

يا رعى الله أرْبُعاً[2] جُلْتُ فيها

انبشُ الذكرياتِ عَهْداً فعهدا

---

(١) الفِرِند والجمع فرائد : السيف . حبّ الرمان .

(٢) الرَّبع والجمع أربُع وأرباع ورِباع ورُبوع : الدار . ما حول الدار . المحلة . جماعة الناس .

ذكرتني - والشيبُ يُثلجُ رأسي -

بُرَهاً - هُنَّ جهرة العيش - مردا

ونفوساً من نطفة المُزْن أصفى

ووجوهاً من دمعة الفجر أندى

الميامينُ[1] يمحضونك ودا

لا مشوبا نزراً ، ولا مُستردا

ليت ما ظل من سني يوفي

حمدَ ما لا أُطيقُ شكراً وحمدا

---

(١) الميمون والجمع ميامين : ذو اليُمْن والبركة .



أخي سعيد ..

حينما زار الجواهري لبنان في الشهر الأخير من عام ١٩٦٧ اقام ببيروت في اوتيل سان بول لأن صديقه سعيد علي مقيم فيه مذ هجر العراق . وقد كان هذان الصديقان في اتصال دائم زاده روعة وبهجة وشيجة المعرفة التي قربت بينهما اشد التقارب ، فلا عجب في ان نرى الجواهري يخص سعيداً بهذا الكلام المنظوم وبغير هذا الكلام المنظوم من الثناء والتقدير على رغم التفاوت الكبير بين سنيهما .

أخي سعيد :

سعيدٌ ، وأنت الخلُّ غيرُ بديلهِ
عليه إذا عضتْ خطوبٌ يعوّلُ

تقبلْ ثنائي - لا عدمتك - إنه
ثناءُ امرئٍ صدقٍ يقولُ ويفعلُ

سأجزيكَ خيراً عن ودادٍ محضته
من الصفوِ أصفى أو من الفضلِ أفضلُ

بيروت ٢٩-١٢-١٩٩٧

محمد مهدي الجواهري

بين النجف ونيويورك

نظمها قبل خمسين سنة في رسالة بعث بها إلى صديق له سوري هجر إلى العالم الجديد .

أأمريكُ يـــا بنتَ كولمبس
لحبِّك وَقْعٌ عـــلى الأَنْفُس
صَبَوْتُ إليكِ وأين الفراتُ
وأهلوه من بحركِ الاطلس
حَنَنّا ولو كان في وُسْعِنا
سَعَيْنا إليك على الأَرْؤُس
إذا أنِسَ الصَّبُّ ذكرَ الحبيبِ
ففي غيرِ ذكرك لم آنس
هواجسُ تُدني إليكِ المنى
ولولا المنى قَطُّ لَم أهجس

وإني وقلبي ذاك الرقيقُ

أحِنُّ إلى صخرِك الأملس

هوى لي لو بالدراري صبت

ولو بالعواصفِ لم تهمس

إذا كان من ثمرٍ للمنى

فغي غير أرضِك لم يُغْرَس

وكم قائلٍ ما اصطلى في الهوى

بناري وقد غرّه ملمسي

أليس سواها نفيسٌ يُرام

فقلتُ هوايَ مع الأَنْفَسِ

أحبايَ حتّى م يصبو لكم

مُعافٌ ويذكُركُم من نسي

ألا هل أتاكم باني متى

يُدَرْ كأسُ حُبِّكم احتس

وإني كالليلِ في بادي الهمومِ

واني كالنجم لم أنعس

ولي قلبٌ حرٌّ عصيُّ الزمامِ

فــان راضه حبُّكم يسلس

وكم ليلةٍ بِتُّ في عزلةٍ

ومن طيبِ ذكراكم مجلسي

* * *

وبلدةِ ذلٍ تُميت الشعورَ

فمنطيقُها الحرُّ كالاخرس

أُحبُّ بلاديَ لو لم أَخفْ

بها شرَّ ذي الغدرةِ الأَشرس

يجاذب قلبي إليها الهوى

ويأبى المُقامَ بها مَعْطِسي[1]

---

(١) المعطِس والجمع معاطس : الانف .

جَفَوْني ولا ذنبَ إلا الاباءْ

وان طاب من بينِهم مغرسي

وقالوا تناسَ ولا حِنّةٌ

وهل بلبلٌ حَنَّ للمحبس



عبد الحميد كرامي

القاها الشاعر ببيروت في حفل اقيم لتأبين عبد الحميد كرامي .
وهي القصيدة التي اخرجوه بسببها من لبنان قبل ما يقرب من سبع عشرة سنة .

باقٍ - وأعمارُ الطغاة قِصارُ -

مِن سِفر مجدِكَ عاطرٌ مَوّارُ

متجاوبَ الأَصداءِ نفحُ عبيره

لُطَفٌ . ونفحُ شَذاتِه إعصار

رفَّ الضميرُ عليه فهو منوَّرٌ

طُهراً كما يتفتَّحُ النُّوّار[1]

وذكا به وَهجُ الإِباء فرَدَّه[2]

وقــداً يشِبُّ كما تشبُّ النار

العمرُ عُمرُ الخالدينَ يمدُّه

فلكٌ بطيبِ نَثاهمُ[3] دوّار

---

(١) الزهر .

(٢) الوَقد والوَقَد : النار .

(٣) النَّثا : ما أخبرت به عن سواك من حسن وسيء . والنَّثْوَة : الوقيعة في الناس . ونثا الشيء ينثوه نثواً : أشاعه وأذاعه . وتناثوا الشيء: تذاكروه .

يتمخّضُ التاريخُ في أعقابهمْ

حَمداً ، وتعصِفُ ليلةٌ ونهار

أما النفوسُ الزّاخراتُ عروقُها

باُلمغرياتِ فنشوةٌ وخُمار

* * *

عبدَ الحميدِ وكلُّ مجدٍ كاذبٌ

إنْ لم يُصَنْ للشعبِ فيه ذِمار[1]

والمجدُ أنْ تُهدي حياتَك كلَّها

للناسِ لا برَمٌ ولا إقتار

والمجد أنْ يحميكَ مجدُك وحدَه

في الناسِ .. لا شُرَطٌ ولا أنصار

---

(١) الذمار : كل ما يلزمك حمايته وحفظه والدفاع عنه وإن ضيعته لزمك اللّوْم .

والمجدُ إشعاعُ الضمير لضوئهِ
تهفو القلوبُ . وتشخَص الأَبصار
والمجدُ جبّارٌ على أعتابــه
تهوي الرؤُوسُ ، ويسقط الجبار

* * *

جانبتَ مزلَقَةَ الطغاةِ وإنهـا
بالوردِ تُفرشُ النُّضارِ[1] تُنار
وسلكتَ نهجَ المخلصينَ وإنه
أَسَلٌ[2] يُخضَّبُ من دمٍ وشِفار[3]

---

(١) النضار : الذهب والفضة ، وقد غلب على الذهب .

(٢) الأسل: الرماح وكل حديد رهيف من سيف وسكين . نبات طويل الاغصان دقيقها والواحدة أسلَة ، وهو يستعمل لصنع السلال والكراسي . والاسلَة : رأس اللسان . يقال : لا يزال الامر على أسلة لسانه إنه يلهج به دائماً .

(٣) الشفار مفردها شَفْرة : وهي السكين العريضة أو السيف ، أو جانب الفصل ، أو زميل الإسكاف .

لو كنتَ تستامُ الحياةَ رخيصةً

وأفاكَ منها مَغْنَمٌ وتِجار

ولو ارتضيتَ الحكمَ أعرجَ أهوجاً

لمشتْ إليكَ عجولةً أوطار[1]

جئتَ الوَزارةَ ليلةً ونهارَها

فرأيتَ كيفَ تراكُم الأَوزار

ورأيتَ كيفَ الحكمُ يشمَخُ كاذباً

في حينَ يملأُ دفّتيهِ[2] العار

ولَمستَ كرسياً يُرجُّ[3] كأنه

نعشٌ يُدقُّ بجنبِهِ مِسمار

---

(١) الوَطر والجمع أوطار . الحاجة والبغية .

(٢) الدَّفة : الجنب من كل شيء او صفحته .

(٣) رجّهُ رجّاً : حرّكه وهزه . وارتج البحرُ : اضطرب . والرَّجة : الاهتزاز .

ورأيتَ إذ « باريسُ » شُلَّتْ كفُّها
كيفَ اصطفاهُ بلندنٍ نجار
فنفضتَ كفَّكَ من حُطامٍ عندَه
يَخزى البنونَ وتخجَلُ الأَسفار
وخرجتَ موفورَ الكرامةِ عالِقاً
مِن فوقِ مَفرقِكَ الأَغرِّ الغار
بُوركتِ خالصةَ الضميرِ فإنك
الجنّاتُ تجري تحتَها الأَنهار .
قد كانَ وَسْعكَ أنْ تغالِطَ ذِمَّةً
أو أنْ تغرّرَ والهوى غرّار
وتقولُ كنتُ وكانَ صُنعَ معاشرٍ:
أعطوا يداً للأَجنبيِّ وساروا
أو أنْ تسمي « الشرَّ » يُهلكُ أُمَّةً
خيراً كما يتصنَّع الأَشرار

أو أن تجيءَ « النفعَ » وِتراً أجذماً

في حينَ تشفعُ عندَه الأَضرار

حُوشيتَ ما قِيَمُ الرجال إذا ارتمى

منها الضميرُ ، وصوَّح الإيثار

لا يقدُر الِحرمانَ مما يُشتهى

ويُتاحُ .. إلّا القادةُ الأَبرار

لا بُدَّ أن يَعرى - وإن طالَ المدى

بالناسِ موهوبٌ الثيابِ مُعار

* * *

إيهٍ « كرامةُ » والقريضُ وسيلةٌ

للخيرِ ، لا خمرٌ ولا أسمار

يُلوى من الخيلِ الجيادِ عنانُها

حتى يُتاحَ لرَكضها مِضمار

ومزيَّةُ الزُّعماء أنَّ حياتهمْ
خِصبٌ . وأنَّ مماتَهم إثمار
فإذا ذكرتُ بكَ البلادَ فعاذِرٌ
فهي الحبيبُ لنفسِكَ المختـــار
عبدَ الحميدِ وما تزالُ كعهدِها
شعبٌ يُذلُّ وأُمةٌ تنهار
ومسلَّطونَ على الشعوبِ برغمها
السوطُ يدفعُ عنهمُ . والنار
وصحافةٌ صِفرُ الضميرِ كأنها
سِلَعٌ تُباع . وتُشترى . وتُعار
ومُبصبِصونَ(١) كأنَّهمْ عن غيرهم
مَسخٌ ، ومن آثامه آثار

---

(١) بصبص وبصّص : تملّق حرّك ذنبه .

يهافتونَ على مواطىءِ أرجُلٍ

يُومى لهمْ بكُعوبهـــا ويُشار

قدَرٌ أناخَ على البلادِ بكلكلٍ

فنبا بـــهِ متنٌ . وزوَّ فقار

وغمامةٌ سوداءُ رانَ جِرانُها[1]

عَنتاً فلا غيثٌ ولا إصحار

* * *

لبنانُ يا بلدَ الصباحةِ تُجتلى

والعلمِ يُقطف ، والنُّهى تُشتار

أهداكَهُ إذْ فرَّ جحفلُ غاصبٍ

جيشٌ لآخرَ غاصبٍ جرّار

---

(١) الجِرْن والجمع جِران وأجران : حجرٌ النقور للماء وغيره . الجرَن : البيدر . الاكول .

وبدا يُزحزِحُ عن سماكِ مذنَّباً

رجْمٌ سواهُ مُذنَّبٌ سيار

* * *

لُبنانُ نجوى مُرَّةٌ وسِرارُ

إنّا بحكمِ بَلائِنا ثُوّار

ماذا يُرادُ بنا ؟ وأينَ يُسارُ ؟

والليلُ داجٍ . والطريقُ عَثار

والوحشُ يربُض في الثنايا مُنذِراً

والموتُ جارٌ بها زآر

أُعقابُ لُبنانٍ تدنّسُ وَكرَهُ

للأَجنبيِّ قواعدٌ ومَطار ؟

أو بَحرُهُ نبعُ الفَخارِ يشقُّه

في كل يومٍ منهمُ بجّار ؟

أوَ فخرُ مُنهاضِ الجناحِ بأنه

بجناحِ أقتمَ كاسرٍ طيّار ؟

اليومَ ينزلُ عِشَّهُ ويدسُه

لا الرِّيشُ يُنجدُه ولا المنقار

وغداً يُلقّفهُ وينتفُ ريشَه

فيما يُلقَّفُ أجدلٌ جبّار

* * *

أشبابُ لُبنانٍ يُضامُ لانه

يَقِظٌ على عُقبى المصيرِ يَغار ؟

ألِمثلهم صاغَ القُيونُ[1] حديدَهم؟

وبنى السجونَ لِمثلهم مِعمار ؟

هل غيرُهم حطبُ الوغى إن شبَّها

باغٍ وعمَّ الخافِقَينِ أوار ؟

أوَ غيرُهم يَسقي الثغورَ دماءه

لتمرَّ منها غدرةٌ وفَجار

---

(١) القَيْن والجمع قُيُون وقيان : الحدادٌ .

السوطُ ذل لا تُقِرُّ هوانَه

إلّا بسلخِ جلودِها الأَبقار

واسجنُ لو علمتْ مَن الثاوي به

لتساقطتْ ببناتِه الأَحجار

كِنّا لكمُ نعَم النذيرُ[1] لو ارعوى

غاوٍ ، ولو ألوى بـهِ إنذار

* * *

ما أشبهَ التاريخ ، دامي جُرحِنا

كجروحِكمْ بأكفِّنا نَغّار[2]

---

(١) المقصود ثورة ١٩٢١ في العراق ، هذه الثورة التي استبدلت بزعانف اجنبية زعانف وطنية عراقية ما تفتىء تحكم العراق حتى هذا اليوم على شعارات ملوّثة من قبيل الملكية او الوطنية او الجمهورية .

(٢) جُرح نَغّار : جيّاش بالدم .

كانَ الغريبُ . وكانَ بغيٌ سافرٌ

ولقد يُهوِّنُ مُنكَراً إسفار

جُمعتْ به شتى الصفوفِ.ووُحِّدتْ

شتى القلوبِ . ونامتِ الأَوغار(۱)

وتوضحتْ فيه المعالمُ . لم تُشَبْ

دَجلاً . ولم تُطمس بها الآثار

وبهِ تكشَّفَ كلُّ أربدَ(۲) حالكِ

داجٍ ، كما تتكشفُ الأَقمار !

وتمايزتْ ــ للمؤثرينَ نفوسَهم

والمؤثرينَ بلادَهم ــ أقدار

قد كانَ ميدانُ الجهادِ يَسوده

حُكمانِ . وَقْدُ جاحِمٌ . وفِرار

---

(۱) الوَغر : الحقد والضغن .

(۲) الأربد . ما كان فيه رُبدَة أي غبرة وقحط .

كُبَّتْ به الهِجانُ لوجهها

وحوى الجيادَ كريمةً مِضمار

وهفا الدعيُّ فلم يُفاخِرْ أنَّه

يعلوهُ من رَهْجِ [1] الجهادِ غبار!

* * *

حتى إذا لقحتْ قُبيلَ أوانها

شعواءُ يجهلُ كُنهَها الثُوَّار

ومضى بوِزرِ مُغامرٍ . ومُتاجِرٍ

ومُبرَّرٍ . شهداؤُها الأَبرار

ألقى لنا المُستعمِرونَ عِصابةً

كانتْ تضمُّ شتاتَهم أحجار

---

(١) الرَّهج : ما أثير من الغبار . الفتنة والشغب . وأرهجت السماء: همّت بالمطر . وأرهج بين القوم : هيّج بعضهم على بعض .

مِن حاضني حكمِ الدخيلِ، وناصري

سلطانِه إنْ عزَّه الأَنصار

ممن بلا «لورانس» صِدقَ ولائهم

للتاجِ لا دَغلٌ ولا إسرار

راحُوا فما بكتِ الديارُ عليهمُ

وغدوا فلم يَفرحْ بهم ديّار

وبنوا لنا بيتاً أقمنا عُشره

ولمنْ هناكَ التسعةُ الأَعشار

ثم انكفأنا نصطلي بوقيدةٍ

نحنُ الوقودُ لها . ونحنُ النار

وانصاع يدفعُ من دماءٍ جزيةً

شعبٌ تُغِلُّ(۱) جهودَه أنفار

---

(۱) أغلَّ الارضَ واغتلَّهـــا : أخذ غلَّتها . وأغلَّ البصرَ : شدَّد النظر .

وتخربتْ — لتسدَّ أجوازَ السما

تلكَ القصورُ — من الجموعِ ديار

وبدتْ على تلكَ الملايينَ التي

شرَتِ الحريرَ لغيرِها أطمار

وأفاقَ مخدوعٌ ليَسمعَ هاتفاً

« خفَّ الهوى وتقضّتِ الأَوطار »

وتساءلوا فيمَ استجدُّوا ثورةً

وعلى منِ امتشقوا الُحسامَ وثاروا

أعلى الدخيلِ السامريِّ . ومثلُه

وأمرُّ منه عجله الخوّار

ولأَجلِ مَنْ ؟ ألمنْ مضوا ببقيةٍ

رأفَ الغريبُ بمثلها وأغاروا ؟

ألِأَجلِ أنْ يُسقى الطغاةُ دماءهم

ولهم — إذا رفقوا بهم — أسآر ؟

تلكَ الثلاثونَ العجافُ ، أذلَّها

سوطُ الرُّعاةِ ، ومسَّها الإضرار

جمدتْ على الجِلْدِ اليبيس ضروعُها

من فرطِ ما احتُلبتْ لها أشطار

لم تُبقِ منها الطارئاتُ جُزارةً[1]

لو كانَ يَعرفُ رحمةً جزّار

* * *

سرعانَ ما خفقَ اللواءُ ، وشُرِّعتْ

نظمٌ ، وقامتْ دولةٌ وشِعار

الجورُ صُلْبُ كيانِها ، ونظامُها

الإقطاعُ ، والإذلالُ ، والإفقار

---

(١) الجُزارة : أطراف ما يُجْزَر اي اليدان والرجلان والرأس وسُمّيت بذلك لان الجزّار يأخذها اجرة الذبح . والجِزارة : حرفة الجزّار .

يا أيُّها المتحكِّمونَ . وإننا

ودماءَنا مثلَ البهيمِ جُبار[1]

قولوا الصحيحَ : سنستبيح جلودَكم

للسالخينَ لأنَّكم أحرار !

× × ×

إني — وللذُوّاد عن أوطانهم

وشعوبِها الإجلال والإكبار —

لي في العراقِ مقالةٌ مأثورةٌ

وكأنها مثَلٌ بهِ سيّار

أبصرتُ شمطاءَ تتيه وفوقَها

تشكو الضياعَ قِلادةٌ وسِوار

---

(١) الجُبار : الهدر . ويقال : انا منه خَلاوةٌ وجُبار : أي بريء منه .

فإذا به شبحٌ[1] تهدَّدُ أُسَّه

صُحُفٌ ، وتنسِفُ ركنَه أشعار

كنّا نقيمُ الكونَ حينَ يَمَسُّنا

ضر ، وحينَ يهدُّنا إعصار

والآنَ نحنُ إذا اشتكينا غاصباً

قالوا : أولاءِ بنوكُمُ الأَخيار !

« ممنْ حملنَ بهمْ وهنَّ عواقِدٌ

حبكَ النِطاق » حرائرٌ أطهار !

أولاء أنتمْ غيرَ أنَّ إطارَهم

منّا ، وبئستْ صُورةٌ وإطار !!

---

(١) الصحيح هو ان تأتي هذه الكلمة منصوبة لانها مفعول به لاسم الفاعل فالتقدير : فاذا انا شاعر به شبحاً .

وَلَنحنُ أعرَفُ مَنْ همُ ولِمن همُ

ولِمن تُمَثَّلُ هذهِ الأَدوار !

ومَن المصرِّفُ من فُضولِ عِنانِهم

ولِمن يعودُ الوِردُ[1] والإصدار !

* * *

تَنهي وتأمرُ ما تشاء عِصابة

ينهي ويأمرُ فوقَها استعمار

خوِيتْ خَزائنُها لما عصفتْ بها

الشهواتُ، والأَسباطُ، والأَصهار

واستنجدتْ - ودمُ الشعوب ضمانُها

ورفاهُها - فأمدَّها « الدُّولار »

يُلوى به عصبُ البلادِ، وتُشترى

ذممُ الرجالِ، وتُحجزُ الأَفكار

---

(١) الوِرْد : العطش . النصيب من الماء .

عَرَفوا مصائرَهم إذا جلّى غدٌ
في المَشْرِقَيْنِ . ولاحتِ الأنوار

وإذا استوى أجلٌ فزعزِع طارئٌ
عاتٍ . و قرَّ من الشعوبِ قرار

ورأوا بأعيُنهم فجيعةَ أهلها
إذْ عرَّسوا . وحُبورَهم إذ طاروا

وتيقَّنوا أنْ لا وَجارَ يقيهمُ
حتفاً ، وللضبِّ الضليلِ وِجار

فهمُ وفرطُ الحقدِ لاثَ دماءَهم
كَلَبٌ بهمْ مائِنا وسُعار

وهمُ يحدُّونَ الأظافرَ منهمُ
عِلماً بيومَ تُقلَّمُ الأظفار

× × ×

قُلنا لهم فيمَ اللجاجةُ والسما

تُعطي وتمنع . والقضا غدّار ؟

وعلى مَ يشتطُّ الممثّلُ منكمُ

رفقاً بساعةَ تُرفعُ الأَستار ؟

وعلى مَ يُوغِلُ في الحماسةِ راقصٌ

بأشدّ ممّا ينفخُ الزَّمار ؟

وعلى مَ يسدرُ[1] في الصبابةِ سادرٌ

وعلى مَ يَخلعُ في الغرامِ عِذار ؟

قلنا لهم إنَّ الشعوبَ مُنيخةٌ

أبداً ، وحكّامُ الشعوبِ سَفار

---

(١) سدَرَ الشَّعرَ : سدله . والثوبَ : شقّه . والرجلُ في البلاد : ذهب فيها لا ينثني .

قلنـــا لهم إنَّ النبيَّ محمَّداً

يأبى الخنى[1] . والواحدُ القهار

قلنا لهم إنَّ البياضَ لَشحمةٌ

والليلَ ليلٌ . والنهارَ نهار

فأتى الجوابُ لنا بأنَّ نهارَكم

ليلٌ . وأنَّ عشيرَكم كُفّار !

وإذا أبيتمْ فالجريمةُ أنَّكم

للبلشفيـــهِ ، بيننا أنصار !

لو كنتُ منهم لم أكافىء غيرَهم

بالخيرِ مّما عجّلوا وأثاروا

---

(١) الخَنَى : الفحش في الكلام . وأخنى عليه في الكلام : افحش .
واخني عليه الدهرُ : اهلكه .

يا أيُّها المتحكّمونَ . وإننا

ودماءنا مثلَ البهيمِ جُبار[1]

قولوا الصحيحَ :سنستبيح جلودَكم

للسالخينَ لأنّكم أحرار !

× × ×

إني — وللذوّاد عن أوطانهم

وشعوبِها الإجلال والإكبار —

لي في العراقِ مقالةٌ مأثورةٌ

وكأنها مثَلٌ بهِ سيّار

أبصرتُ شمطاءَ تتيه وفوقَها

تشكو الضياعَ قِلادةٌ وسِوار

---

(١) الجُبار : الهدر . ويقـال : انا منه خَلاوة وجُبار : أي بريء منه .

جسدٌ تعوَّضَ بالحليّ وجَرسِه

إذْ غاضَ منه شبابُــه الفوّار

فذكرتُ كيفَ يُشدُّ من مُتغطرِسٍ

واهي الضميرِ ، ضميرُه المُنهار

ورأيتُ في سُوقِ النخاسةِ تعتلي

وجهَ الرقيقِ مهانــةٌ وصَغار

وبآسِنٍ من بؤسِهم مستنقَعٍ

قد راحَ ينفُخ صدرَه سِمسار

فذكرتُ ما تلقى الشعوبُ ضعيفةً

عزلى تسوسُ أمورَها أغمار[1]

وذكرتُ كيفَ المستظِلُّ بغيره

يُوحي ويُوهِم أنَّه جبّار

---

(١) الغُمْر والجمع أغمار والغَمَر والجمع غُمُور : الجاهــل . والغمارة : الجهل .

عبدَ الحميدِ وطهرُ نفسِك جنةٌ

وجميلُ صنعكَ روضةٌ مِعطار

يا دارجاً في الخالدين ضميرُه

صلَّتْ عليكَ الرِّفقةُ الأبرار

لا تُذعُ

ترجمها الشاعر من اللغة الفرنسية التي ألم بها بعض الالمام .

لا تُذْعِهُ على أعزّ صديقِ

وعلى الطِّرْسِ لا تَخُطَّ الحروفا

وبرملِ الغابِ النَّديّ الرقيقِ

إذ سنى الشمسِ يستطير رفيفا

ويناغي أدواحَهُ والحفيفا

لا تُخَطِّطْهُ ثَمَّ عَبْرَ الطريقِ

× × ×

لا تُذْعِهُ حتى لبُرْعُمِ وَرْدِ

بثنيّات شعرها يتخفّى

يتملّى منه أريجاً ولُطفا

لا تذعه حتى إذا الجفنُ رفّا

بنعاسٍ على السبات العميقِ

× × ×

وإذا مُتَّ في فراشِ الفراقِ

بانتظارٍ مُرٍّ ليومِ التلاقي

فاحتَرِمْهُ والرّوحُ عند التراقي

لا تذعه حتى لقبرٍ عميقِ

× × ×

إنّ عهدَ الصديقِ غيرُ وثيقِ

وسطوراً تَخُطُّ عَبْرَ الرقوقِ

هن نهبٌ لأَعين الرقباء

وثرى الغاب في مَدَبّ الشتاءِ

والتقاء السيولِ بالأَنداء

عرضةٌ لامّحاء ما خُطّ فيه

وشذا الورد بين غُنْجٍ وتيهِ
في ثنايا جدائلٍ لَفّاء
قد يُغنّي بسحرِها للهواء

× × ×

ومَتاهُ القبرِ العميقِ سحيقِ
حيث يُلقي الغروبُ عبءَ الشروقِ
طالما نثَّ سرَّه للعَراء
لا تُذِعْ سرَّ كلِّ بُرْءٍ وداءِ
رمزَ معنى هَناءةٍ وشقاءِ
لا تذعه حتى لصَبٍّ مشوقِ

هاشم الوتري

قيلت في تكريم عميد كلية الطب العراقية

الدكتور هاشم الوتري

مَجّدْتُ فيكَ مَشاعِراً ومَواهِبا

وقضَيْتُ فَرْضاً للنوابغِ واجِبا

بالُمبدعينَ « الخالقينَ » تَنوَّرَتْ

شتى عوالمَ كُنَّ قبلُ خرائبا

شرفاً « عميدَ الدارِ » عليا رُتبةٍ

بُوِّئْتَهـــا في الخالدين مراتبا

جازَتْكَ عن تعَبِ الفؤَادِ، فلم يكن

تعبُ الدماغ يَهُمُّ شهماً ناصبا

أعطَتْكَها كف تضمُّ نقائضاً

تعيا العقولُ بحلِّهـــا، وغرائبا

مُدَّتْ لرفعِ الأفضلينَ مَكانةً

وهوتْ لصفعِ الأَعدلينَ مَطالبا !

ومضَتْ تُحرِّرُ ألفَ ألفِ مقالةٍ

في كيف يحترمونَ جيلاً واثبا

في حين تُرهِقُ بالتعنّتِ شاعراً

يَهدي مَواطنَهُ ، وتُرهِقُ كاتبا

« التَيْمِسيّونَ ! » الَّذين تناهبوا

هذي البلاد حبائبا وأقاربا

والمغدِقونَ على «البياضِ» نعيمَهُمْ

والخالعونَ على «السواد!» زرائبا

والحاضنونَ الخائنينَ بلادَهُمْ

حَضْنَ الطيورِ الرائماتِ زواغبا

يَستصرخونَ على الشُعُوب لُصوصَها

في حينَ يحتجزونَ لِصًّا ساربا

وَيُجَنِّبُونَ الكلبَ وخزةَ واخزٍ

وَيُجَهِّزُونَ على الُجموعِ معاطِبا

أولاءِ «هاشمُ» مَنْ أروكَ بساعةٍ

يصحو الضميرُ بهـا ضميراً ثائبا

فأَحَمَدْهُمُ أنْ قد أقاموا جانباً

وأَذُمُّهُمُ أنْ قـد أمالوا جانبا

وتحرَّسَنْ أنْ يقتضوكَ ثوابَها !

وتوقَّ هذا «الصيرفيَّ» الحاسبا

× × ×

للهِ درُّكَ أيُّ آسٍ مُنقـذٍ

يُزجي إلِى الداءِ الدواءَ كتائبا

سبعونَ عاماً جُلْتَ في جَنَباتها

تبكي حريباً أو تُسامرُ واصبا

متحدِّياً حُكْمَ الطباع ! ودافعاً

غَضَبَ السَّماءِ وللقضاءِ مُغالِبا !

تتلمَّسُ « النَّبَضاتِ » تجري إثْرَها

خَلَجاتُ وجهِكَ راغباً أو راهبا

ومُشارِفٍ ! نسَجَ الهلاكُ ثيابَهُ

أَلْبستَهُ ثوبَ الحيــاةِ مُجاذِباً

ومكابِدٍ كُرَبَ المماتِ شَرِكْتَهُ

ـ إذْ لم تَجِدْ منجىً ـ عناءاً كارِبا

ومحشرَجٍ وقفَ الحِمامُ ببابِـهِ

فدفعتَهُ عنـــه فزُحزِحَ خائبا

كم رُحْتَ تُطلِعُ من نجومٍ تختفي

فينا وكم أَعْلَيْتَ نجماً ثاقبا

هذا الشَّبابُ ومِن سَناكَ رفيفُهُ

مجدُ البلادِ بـــهِ يرفُّ ذوائبا

هذا الغِراسُ - وملءُ عينِكَ قرّةٌ

أنّا قطفنا مِن جَنـــاهُ أطايبا

هذا المعينُ ، وقد أسلتَ نميرَهُ

وجهُ الحياةِ به سيُصْبحُ عاشبا

هذي الأَكُفُّ على الصدورِ نوازِلاً

مثلُ الغيوثِ على الزُّروعِ سواكبا

* * *

أوقفتَ للصَّرعىٰ نهاراً دائبا

وسهِرْتَ ليلاً « نابِغيًّا » ناصبا

وحضَنْتَ هانيكَ الأَسِرَّةَ فوقَها

أُسْدٌ مُضَرَّجَةٌ تلوبُ لواغِبا

أرَجٌ من الذكرى يلفُّكَ عِطْرُهُ

ويَزيدُ جانبَكَ المُوطَّدَ جانبا

ولأَنتَ صُنْتَ الدارَ يومَ أباحها

باغٍ يُنازلُ في الكريهةِ طالبا

أَلْغَيُّ يُنجِدُ بالرَّصاص مُزَمْجِراً

والرُّشدُ يُنجِدُ بالحِجارةِ حاصِبا

ولَأَنتَ أَثخَنْتَ الفؤادَ من الأسى

للمُثخَنينَ مِن الجراحِ تعاقُبا

أعراسُ مملكةٍ تُزَفُّ لمجدِها

غُررُ الشّبابِ إلى التُرابِ كواكبا

ألحاضنينَ جِراحَهمْ وكأَنَّهمْ

يتَحَضَّنونَ خرائداً وكواعبا

والصابرينَ الواهبينَ نُفوسَهُمْ

والمُخجِلينَ بها الكريمَ الواهبا

غُرَفُ الجنانِ تضوّعتْ جَنَباتُها

بصديدِ هاتيكَ الجراح لواهبا[1]

وبحَشْرَجاتِ الداهبينَ مُثيرةً

للقادمينَ مواكباً فمواكبا

غادي الحيا تلك القبورَ وإنْ غدتْ

بالنّاضحاتِ من الدّماءِ عواشبا

وتعهّدَ الكَفَنَ الخضيبَ بمثلِهِ

وطنٌ سيَبْعَثُ كلَّ يومٍ خاضبا

***

بغدادُ كانَ المجدُ عندَكِ قَيْنَةً

تلهو ، وعُوداً يَستحثُّ الضّاربا

---

(١) يعني بغرف الجنان غرف المستشفى التي شاهدت الجرحى والصرعى يوم الوثبة .

وزِقاقَ خمرٍ تستَجِدُّ مَساحِبا

وهَشيمَ ريْحانٍ يُذَرَّى جانبا

والجسرُ تمنحُهُ العيونُ من المها

في الناسِبينَ وشائجاً ومناسِبا

الحمدُ للتأريخِ حينَ تحوّلَتْ

تلكَ المرافِقُ فاستحَلْنَ مَتاعبا

الشِّعْرُ أصبحَ وهو لُعْبَةُ لاعبٍ

إنْ لم يَسِلْ ضَرَماً وجَمْراً لاهبا

والكأسُ عادتْ كأسَ موتٍ ينتشي

زاهي الشبابِ بها ، ويمسحُ شارِبا!

والجسرُ يفخرُ أن فوقَ أديمِهِ

جثثَ الضَّحايا قد تَرَكْنَ مساحبا!

وعلى بريقِ الموتِ رُحْنَ سوافراً

بيضٌ كواعبُ ، يندفعنَ عصائبا

★★★

حدّثْ عميدَ الدارِ كيفَ تبدَّلَتْ

بُوْراً ، قِبابٌ كُنَّ أمسِ محارِبا ؟

كيفَ ٱستحالَ ٱلمجدُ عاراً يُتَّقَى

والمكرُماتُ من الرّجالِ مَعايِبا؟!

ولِمَ ٱستباحَ «ٱلوَغْدُ» حرْمَةَ مَنْ سَقَى

هذي الديارَ دماً زكِيًّا سارِبا

* * *

إيهِ «عميدَ الدار» كلُّ لئيمةٍ

لا بُدَّ — واجدةٌ لئيماً صاحبا

ولكلِّ «فاحشةِ» المتاعِ دَميمةٍ

سُوقٌ تُتيحُ لها دَمِياً راغبا

ولقد رأى المستعمِرونَ فرائساً

منَّا، وألفَوْا كلبَ صيدٍ سائبا!

فتعهَّدُوهُ، فراحَ طوعَ بَنانِهمْ

يَبْرُونَ أنياباً لهُ ومَخالبا

أعرَفتَ مملكةً يُباحُ «شهيدُها»

للخائنينَ الخادمينَ أجانبا

مستأجِرينَ يُخرِّبونَ دِيارَهُمْ

ويُكافئونَ على الخرابِ رواتبا

مُتنَمِّرينَ يُنصِّبونَ صُدورَهُمْ

مِثْلَ السِّباعِ ضَراوةً وتَكالُبا

حتى إذا جَدَّتْ وغىً وتضرَّمَتْ

نارٌ تلُفُّ أباعِداً وأقارِبا

لَزِموا جُحورَهُمُ وطارَ حليمُهُمْ

ذُعْراً ، وبُدِّلَتِ الأُسودُ أرانبا

×××

إيهٍ «عميدَ الدار» ! شكوى صاحبٍ

طفَحَتْ لواعجُهُ فناجى صاحبا

خُبِّرْتُ أَنَّكَ لستَ تبرحُ سائلاً

عنّي ، تُناشدُ ذاهباً ، أو آيبا

وتقولُ كيفَ يَظَلُّ «نجمٌ» ساطعٌ

ملءُ العيونِ ، عن المحافل غائبا

ألآنَ أُنبيكَ اليقينَ كما جلا

وَضَحُ «الصَّباح» عن العيون غَياهبا

فلقد سَكَتُّ مخاطِباً إذ لم أَجِدْ

مَن يستحقُّ صدى الشكاةِ مُخاطَبا

أنبيك عن شرِّ الطغامِ مَفاجراً

ومَفاخراً ، ومساعياً ومكاسبا

الشّاربينَ دمَ الشّبابِ لأنّهُ

لو نالَ من دَمِهِمْ لكانَ الشّاربا

والحاقدينَ على البلادِ لأنّها

حَقَرَتْهمُ حقْرَ السَّليبِ السّالبا

ولأنّها أبداً تدوسُ أفاعياً

منهمْ تمُجُّ سُمومَها .. وعقاربا

شَلَّتْ يدُ المستعمرينَ وفرضُها

هذي العُلوقَ على الدّماءِ ضرائبا

ألقى إليهمْ وِزْرَهُ فتحمّلوا

أثقالَهُ حَمْلَ « الثّيابِ » مشاجبا

وأذابَهُمْ في « المُوبقاتِ » فأصبحوا

منها فُجوراً في فجورٍ ذائبا

يَتَمَهَّلُ ٱلباغي عواقبَ بَغْيِهِ

وتراهمُ يَستعجِلون عواقبا

حتى كأَنَّ مصائراً محتومةً

سُوداً تُنيلُهُمُ مُنىً ورَغائبا

قد قلتُ لِلشّاكينَ أنَّ « عصابةً »

غصَبَتْ حقوقَ الأَكثرينَ تَلاعبا:

ليتَ « الموالِيَ » يغصِبونَ بأمرِهِمْ

بل ليتَهم يترَسَّمون « ٱلغاصبا »

فيُهادِنونَ شهامةً ورجولةً

ويُحاربونَ « عقائداً » ! ومذاهبا

× × ×

أُنبيكَ عن شرِّ الطّغام نكايةً

بالمؤْثرينَ ضميرَهمْ والواجبا

لَقَدِ ٱبتلُوا بي صاعقاً مُتلَهِّباً

وَقَدِ ٱبتُليتُ بهمْ جَهاماً كاذبا[1]

حشَدوا عليَّ ٱلُمغرياتِ مُسيلةً

صغراً لُعابَ الارذلينَ رغائبا

بالكأسِ يَقْرَعُها نديمٌ مالئاً

بالوعدِ منها ٱلحافَتَيْنِ وقاطبا

وبتلكُمُ ٱلخَلَواتِ تُمْسَخُ عندَها

تُلْعُ الرِّقابِ من الظِّباءِ ثعالبا !!

وبأنْ أروحَ ضُحىً وزيراً مثلَما

أصبحتُ عن أمرٍ بليلٍ نائبا

ظنا بأَنَّ يدي تُمَدُّ لتشتري

سقطَ ٱلمتاع، وأَنْ أبيعَ مواهبا

---

(١) الجهام الكاذب : هو السحاب الذي لا يعقبه مطر .

وبأنْ يروحَ وراءَ ظهري موطنٌ

أسمنتُ نحراً عندَه وترائبا

حتى إذا عَجَموا قناةَ مُرَّةَ

شوكاءَ ، تُدمي مَن أتاها حاطبا[1]

وآستيأَسُوا منها ، ومن مُتخشّبٍ

عَنَتاً كصِلِّ الرَّملِ يَنْفخ غاضبا

حُرٍّ يُحاسِبُ نفسَهُ أنْ تَرْعَوي

حتّى يروحَ لمنْ سواه محاسِبا

ويحوزَ مدحَ الأَكثرينَ مَفاخراً

ويحوزَ ذمَّ الأَكثرينَ مثالبا !!

حتى إذا الُجنْديُّ شدَّ حِزامَهُ

ورأى الفضيلةَ أنْ يظَلَّ مُحاربا

---

(١) القناة الشوكاء هي التي يكثر في فروعها وأغصانها الشوك .

حشَدوا عليه الُجوعَ يُنْشِبُ نابَهُ

في جلدِ «أرقطَ» لا يُبالي ناشبا!

وعلى شُبولِ اللَّيثِ خرقُ نعالِهم!

أزكى من اُلمتَرهِّلينَ حقائبا[1]

يتساءلونَ أينزِلونَ بلادَهم؟

أمْ يقطعونَ فدافِداً وسباسبا؟

إنْ يعصِرِ المتحكِّمونَ دماءَهم

أو يغتدوا صُفْرَ الوجوه شواحبا

فالأَرضُ تشهدُ أنَّها خُضِبَتْ دماً

منّي، وكان أخو النعيم الخاضبا

ماذا يضرُّ الجوعُ؟ مجدٌ شامخٌ

أنّي أَظلُّ مع الرعيَّةِ ساغبا

---

(١) يريد الشاعر بـ «شبول» الليث أولاده واطفاله.

أنّي أَظلُّ مع الرعيَّةِ مُرْهَقاً
أنّي أَظلُّ مع الرعيَّةِ لاغبا

يتبجَّحُونَ بأَنَّ موجاً طاغياً
سَدُّوا عليهِ مَنافذاً ومَساربا

كَذِبوا فملءُ فمِ الزَّمان قصائدي
أبداً تجوبُ مَشارقاً ومغاربا

تستَلُّ من أظفارِهم وتحطُّ من
أقدارِهمْ ، وتثلُّ مجداً كاذبا

أنا حتفُهم ألِجُ البيوتَ عليهمُ
أُغري الوليدَ بشتمهمْ والحاجبا

خسِئوا : فلَم تَزَلِ الرّجولةُ حُرَّةً
تأبى لها غيرَ الأَماثِلِ خاطبا

والأَمثلونَ همُ السَّوادُ ، فديتُهمْ
بالأَرذلينَ من الشُراةِ مَناصبا

بِمُمَلِّكِينَ الأَجنبيَّ نفوسَهُمْ

ومُصَعِّدِينَ على الجموعِ مَناكبا

أَعلِمتَ «هاشمُ» : أيُّ وَقدٍ جاحمٍ

هذا الأديمُ تَراهُ نِضواً شاحبا؟

أنا ذا أمامَكَ ماثلاً مُتَجَبِّراً

أَطأُ الطُغاةَ بشسعِ نعلي عازبا

وأَمُطُّ من شفتيَّ هُزءاً أنْ أرى

عُفْرَ الجباهِ على الحياةِ تكالُبا

أرثي لحالِ مزخرَفينَ تَماثلاً

في حينَ هُمْ مُتَكَهِّمونَ مَضاربا

للهِ درُّ أبٍ يراني شاخصاً

للهاجراتِ ، لُحرٍّ وَجهيَ ناصبا

أَتبرَّضُ الماءَ الزُلالَ ، وغُنيتي

كِسَرُ الرَّغيفِ مُطاعماً ومَشاربا

أوْصى الظِّلالَ الخافقاتِ نسائماً

ألّا تُبرِّدَ من شَذاتي لاهبا

ودعا ظلامَ اللّيلِ أنْ يختطَّ لي

بينَ النجومِ اللّامعاتِ مَضاربا

ونهى طُيوفَ ٱلُمغرياتِ عرائساً

عنْ أنْ يعودَ لها كرايَ ملاعبا

لستُ الذي يُعطي الزمانَ قيادَه

ويروحُ عن نهجٍ تنهَّجَ ناكبا

آليتُ أَقْتَحِمَ الطُغاةَ مُصَرِّحاً

إذ لم أُعوِّدْ أنْ أكونَ الرّائبا

وغرَسْتُ رجلي في سَعيرِ عَذابِهِمْ

وثَبَتُّ حيثُ أرى الدعيَّ الهاربا

وتركتُ للمشتفِّ من أسآرِهِمْ

أن يستمنَّ على الضّروعِ ٱلحالبا

ولبينَ بينَ مُنافقٍ متربّصٍ

رعيَ الظروف ! مُواكباً ومجانبا

يلِغُ الدّماءَ مع وحوشِ نهارَه

ويعودُ في اللّيل ! التّقِيَّ الراهبا

وتُسِيلُ أطماعُ الحياةِ لُعابَهُ

وتُشِبُّ منه سنامَهُ والغارِبا

عاشَ الحياةَ يصيدُ في مُتكدِّرٍ

منها ، ويخبِطُ في دُجاها حاطبا

حتى إذا زوَتِ المطامِعُ وجهها

عنه ، وقطّبَتِ اللُبانةُ حاجبا

ألقى بقارعةِ الطريقِ رداءَه

يَهدي المضِلّينَ الطريقَ اللاحِبا

خطّانِ ما افترقا ، فأمّا خطّةٌ

يلقى الكميُّ بها الطُغاة مُناصبا

الجوعُ يَرْصُدها.. وإمَّا حِطَّةٌ

تجترُّ منها طاعِماً أو شاربا

× × ×

لا بُدَّ «هاشمُ» - والزَّمانُ كما ترى -

يُجري مع الصَّفوِ الزُّلالِ شوائبا

والفجرُ ينصرُ لا محالَة «ديكَهُ»

ويُطيرُ من ليلٍ «غُراباً» ناعبا!

والأرضُ تَغْمُرُ بالشّعوبِ. فلن ترى

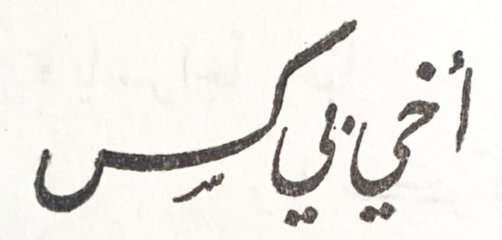
بُوماً مَشوماً يَستطيبُ خرائبا

والحالِمونَ سيَفْقَهون إذا انجلَتْ

هذي الطّيوفُ خوادعاً وكواذبا

لا بُدَّ عائدةٌ إلى عُشّاقِها

تلكَ العهودُ وإنْ حُسِبْنَ ذواهبا



وبي كس هذه الكلمة التي تعني بالفارسية - وحيد - هي إسم شاعر كردي معروف .

أخي « بي كَسٍ » والمنايا رَصَدْ

وها نحنُ عاريةٌ تُستَرَدْ

أخي « بي كسٍ » يا سراجاً خَبَا

ويا كوكباً في دجىً يُفتقد

ويا صَيْدَ « مجتمع .. » دونَه

فريسٌ تلوّى بِشدقَيْ أسد

ويا حاصداً من كريم الزُّروع

غلالَ الأَسى، والأَذى، والحسد

ويا نُهزةَ الحقد .. حقدِ الذئاب

على حَمَلٍ سارحٍ لم يُصد

بلا أحدٍ .. سُنَّة العبقريّ

يَعي الناسَ .. إذ لا يعيهِ أحد

بِلا أحدٍ .. غيرَ خُضرِ الجبالِ

ووحي الخيالِ .. وصَمتِ الأَبد

***

بلا أحدٍ .. يا سنا أُمّةٍ

تنادتْ إلى جمعِ شملٍ بَددْ[1]

تصول بسيفٍ كثيرِ الحدودِ

إذا كل حد له .. جَدَّ حد

وكان شبا ذهنِك العبقريّ

خيرَ العديد ، وخيرَ العَدد

---

(١) البَدَد والبدّة : الطاقة . الحاجة .

تثلَّمَ في معمعانِ[1] النضالِ

وَّلمتْ له كِسرٌ تُفتقد

ستخلد غاراً على ثائرٍ

وعاراً على مستكينٍ قعد

وخزياً لمتَّجِرٍ باُلخشار[2]

وفي يده أيُّ عِلقٍ كَسَد

وأعمى ضميرٍ يعدُّ الأَديبَ

صِفراً .. إذ الصفر منـــه عدد

بلا أحدٍ .. أيُّها العبقريّ

وأنت الجميعُ .. وأنت الاحد

---

(١) المعمعان : الحرّ الشديد . البرد الشديد . ومعمع القومُ : قاتلوا شديداً . ومعمع : عمل في عجَل .

(٢) الُخشار والُخشارة : ُفضالة المائدة . الرديء في كل شيء. ما لا ُلبّ له من الشعير . سَفَلةُ الناس .

أطفالي وأطفال العالم

القاها الشاعر صيف سنة ١٩٦٢ في حفل كبير أقيم بموسكو من أجل نزع السلاح .

لي طفلتانِ أقنصُ الخيالا
عبرَيهما والعِطرَ والظِلالا
أسوءُ حالاً كي يُسرّا حالا

وكي يُراحا أستلذُّ التعبا
لي ناشئانِ يُرقصان الملعبا
قد أوشكا من رقةٍ أن يُشربا
لم يَعرفا غيرَ الصفاء مَذهبا
وغيرَ حبِّ الناسِ أمّاً وأبا

إني وبالفطرةِ أهوى النغَما

إنْ حدَّثا سمعتُ ظبياً بغَّما[1]

ويبسمُ المَوجُ إذا ما ابتسما

طفلانِ.. سلني تعرفِ الأَطفالا

أحملُ من أجلِهما أثقالا

لم تستطع قبلَهما احتمالا

تعوَّدا أن يَسرحا ويمرحا

وأن يصبُّا في النفوس الفرحا

لم يبرَحا لا يعرفان البرحا

---

(١) بَغَم وتبغَّم بُغوماً وبُغاماً : صوَّت بأرخم ما يكون من صوته . والبُغام : صوت الظبية .

وعندنا نحن الكبارَ البرح

تسمم العَدوى بـه وتجرح

نحن الكبارَ ليتنا أطفالا[1]

ولم نزلزل بعضَنا زلزالا

ومنذُ دهرٍ وهُما قد حالا

وبُدِّلا عن حالةٍ أحوالا

قد هاجَ في نفسيهما البلبالا

صحيفةٌ قــد حُمِّلت أثقالا

من وِزر باغٍ دكّ «هيروشيما»

بالذرِّ حتى ردَّهـــا هشيما

---

(1) هذه الكلمة ينبغي أن تجيء مرفوعة لأنها خبر ليت . ولا أعرف لِمَ نصبها الشاعر .

بـــين السطورِ طالَعا تمثالا

لطفلةٍ مثلَهما جمالا

قد مُزّقتْ أوصالُها أوصالا

مِن حولها ينتشر الغمامُ

قد خُولِط الموتُ به الزوآم

وهي كما شاء لهـــا الطغام

نائمةٌ وفوقهـــا الحمام

يرفُّ في رفيفــــه السلام

وإن تهاوى جسمُه هزالا

والقادمـــانِ ارتميا أنسالا

وارتعدا فقلتُ لا تُراعا

إنَّ الغمام ينجلي سُراعـــا

والخيرُ ريحٌ تكنس الأطماعا

وكمْ وكمْ قد مزّقت شراعا

حطَّ الطغاةُ عنده الآمالا

ثم التوى بثقله ومالا

وانتعش القلبان ثم قالا : ـ

هبْ مثلَما قلتَ الغمامُ يذهب

لِمَ الحمامُ ساكنٌ لا يلعب؟

لا بدَّ أن قد لِيث منه مَشرب

فهو ـ وهذي أختُنا ـ استحالا

رمزاً لموتٍ يمنح الجمالا

وأنتهضا يستطلعانِ الأُفقا

ويرمُقان مغرباً ومشرقا

ويلعنان من غمامٍ مِزقا

تلعقُ من دمٍ يغطّي الشفقا

وانتفضا كالطيرِ ينزو فَرقا

وفي العيونِ حلوةَ تَلالا

وميضُ برقٍ خلته سؤالا

لو أفسح[1] الذعرُ له مجالا

واستَبقتْ عيناهما الأَبعادا

ثُمَّة جالا جولةً وعادا

والهمُ قد أضناهما أو كادا

إنَّ فداء البغيِ في « نيفادا »

تلك التي قد وُسِّدتْ وِسادا

عاثت يدُ الموتِ بـه فسادا

أيُصبحان مثلَها رمادا ؟

أيرقبانِ مثلَها مِيعادا ؟

---

(١) لا أحسب لا أن هذا الفعل ثلاثي ، وإلا أنه متعدٍ بالحرف .

عَلى جَناحِ غيمةٍ تعـالى
غُولاً تزجّي مثلَها أغوالا
ثم تَدنّي تسحب الأذيالا
وتنشر الدخانَ والزوالا

من قَبلِ أن ترعُدَ أو أن تُبرقا
في كلِّ ما أينع أو ما أورقا
كلِّ نورٍ عبقريٍّ أشرقا

وكلِّ ما قَد أتعب الأَجيالا
حتى احتذوا أمثاله مثالا

واحتضن الطفلين صمتٌ غيهب
هنيهةً .. ثم تمشّى كوكب
وكوكبٌ..وموكبٌ وموكب
وسِربُ أُطيافِ عذابٍ تغرب
عَبر عيونٍ أربع وتسكب

في كلِّ مُوقٍ سحرَها الحلالا

وفتّـــح الشفاهَ دهرٌ قلّب

يا طالَما قد فتّح الأَقفالا
وفي الصحارى زرع الآمالا

إنهما والغيمُ رمزٌ مُكرِبٌ
وبنتُ « هيروشيم » طيفٌ مرعب
وفي السكون حالةٌ لا تعجب

يتاه في بيدائهـــا ضَلالا
وتسترقُ الفكرَ والخيالا

إنَّهما والجوُّ قفرٌ مجدب

لم ييأسا ويعثرا الرمالا
واكتشفا الينبوعَ والسلسالا

إنهما وقـد أُزيح الغيهب

قد أبصرا أنَّ الحمامَ يلعب

جناحُه عَبر الأَصيل مُذهب

يجيءُ من غمامةٍ ويذهب

أهل لأَطيافِ المنى ومرحب

يا أبا ناظم

جاءت هذه القصيدة الحزينة لواعج متحرقة إلى صديقة الشاعر محمد صالح بحر العلوم الذي كان يقاسي من سجون حزب البعث عام ١٩٦٣ .

يا أبا ناظمٍ وسجنُك سجني

وأنا منكَ مثلما أنْت منّي

وأنا منكَ في المودَّة حيثُ المرءُ

سِيّانِ علمُه والتظنّي

أنا عرقٌ في جسمِك النابضِ الحيِّ،

ولمحٌ من عِلقِك[1] المُستَضن[2]

---

(١) العِلْق والجمع أعلاق : الجراب . والعَلَق : دوّيبة سوداء تمتص الدم . الطين الذي يعلق باليد . والعِلْق يأتي بمعنى النفيس من كل شيء ولتعلقِ القلب به، لذلك يقال هو: عِلْقُ عِلْمٍ أي إنه يحبه ويميل إليه .

(٢) الضِّنّ : الشجاع . والضّنين : البخيل . والضنائن : الاشياء التي يُضن بها لنفاستها .

يابن صيدِ[1] الرجالِ كلّ مُضحٍّ

بشبابٍ كالروضِ لفٍّ[2] أغُن

سذنوا شِرعةَ التذوُّبِ في الناسِ

وماتوا على محَكِّ المِسن

يابن صيدِ الرجالِ دربُك دربُ

الصيدِ مُستوحِشُ الثنيّات مُضن

من بقايا دمِ الضحايا عليه

ألقُ النجمِ في ظلامٍ دجّن

كمصبِ التيّارِ يدفعُ فيه الموجُ

موجاً ويسحقُ المتأني

---

(١) الأصيَد والجمع صِيد : الرجل الذي يرفع رأسه كِبْراً . الملك لانه لا يلتفت من زهو يميناً وشمالا .

اللّفّ والجمع ألفاف ولُفوف : البستان المجتمع الشجر الملتف النبات . القوم المجتمعون . ما يُلف .

سِرتَه لا تخافُ إذ كلُّ شِبرٍ

فيه من وحشةٍ يُخيف ويُثني

* * *

يا ربيبَ السجونِ لا المتبنى

عقّ من ربّـهِ ، ولا المتبني

يا لطيفاً إذ يَستقي ، وكريماً

إذ يُساقي ، ومُبدِعاً إذ يُغني

يا سخيًّا بالعمرِ يعرفُ أنَّ

المجدَ كالدهرِ لا يُحدُّ بسِن

يا مُذيبَ الستينَ أيَّ الليالي

عُدت تُبقي ، وأيّها رحتَ تُغني

أيُّ كنزٍ غالٍ ، وأيُّ عطاءٍ

كسنا الشمسِ لم يُكدَّر بمنّ

* * *

يابنَ جِلدٍ ضاوٍ ، وعظمٍ خويٍّ
كشبا[1] السيفِ في رثاثاتِ جَفن

يفخرُ أنَّ مُضغَةَ لحمٍ ..
غلَّقت قلبَ واثقٍ مُطمئن

يا قريعَ البلوى تُطابق والغمرةَ
منها انطباقَ سِنٍّ وسنّ

يزرعُ الخيرَ في النفوسِ فَيُجنى
ويُجازى بالشرِ عنه فيُجني

يا أبا ناظمٍ وشوطُ الرجولاتِ
سباقٌ فبادئٌ ومُثنّ

ورَّثتك الآباءُ ما ورُّثته
عن جدودٍ ، إرثَ الفروعِ لغصن

---

(١) الشَّباة والجمع شَباً وشَبَوات : حدُّ كل شيء . الرجل السفيه . وشباة السيف : قدر ما يُقطع به .

خوضَ بؤسى شنت لنُصرةِ حقٍّ

وارتقاباً لمبئِسٍ لم يُشن

واصطباراً على جحيمِ الرزايا

والتذاذاً منها بجنةِ عدن

وحياةً دونَ الكفافِ غِناءُ

النفسِ فيها رغيبةُ المتمني

هو ذا المجدُ خالداً لا الدعاوى

بنتَ يومٍ عجلان يفنى ويُفني

* * *

يابن واعينَ إذ وعاةٌ قليلٌ

فُصَحاء يومُ التخارُسِ لُسن

طلعوا في دجنّةٍ نورَ فجرٍ

وهمُّوا في جَديبةٍ صوبَ مُزن

يابن صيدِ الرجالِ دربُك لا
دربُ الخوّورين من كلالٍ ووهن
يحملون الأثقال كُرها تلوي
أعرج في دجىً يسير بحزن
يابنِ صيدالرجالِ بوركتَ من عودِ
أبيٍّ على المغامِز خَشن
تُغرم العاصفاتُ بالشجرِ الصلبِ
وتُغضي على أماليدَ لدن
دِيَّةُ الوادعينَ جبناً وذلا
ما تقاسيه من عذاب وسجن
يولد الضرُّ حيثُ يولدُ حرٌّ
وعلى أنوكِ[1] مظلّةُ أمن

---

(١) الأنوك والجمع نَوْكى ونُوْك : الاحمق . الاشد حمقاً .
العاجز الجاهل .

لن يضيعَ الحسابُ ما بين قُبحٍ
وجَمالٍ وبين حمدٍ ولعن
تُرصد الشهبُ والرجومُ ويُحصى
نسبُ الخيلِ من جيادٍ وهجن

* * *

يا أبا ناظمٍ سلاماً على البعدِ
وصرفُ الخطوبِ يُقصي ويُدني
وسلاماً على رفاقِكَ في الشوطِ المجلّي
من كلِّ ندٍّ وقَرن
يا أبا ناظمٍ ونحن حُداةُ الجيلِ
نَهديه دربُه ونغني
شركاءُ في غايةٍ نبتدي الرحلةَ
ندري أهوالَها ونثني

يا أبا ناظمٍ ونحن مِجَنٌّ

يومَ يُبغى درعٌ ، وأيُّ مِجن

فوقَه من ثقوبِ رُمحٍ ورُمحٍ

بالغُ الجرحِ من ضِراب وطعن

ونحن إذ تُشترى اللذاذاتُ سَوماً

بدمِ القلبِ نشتري ما يُعنِّي

نهدمُ الدهرَ ما ابتناهُ طغاةٌ

ونعاني ما يَهدمون فنبني

نحن إن غُمَّتِ الخطوبُ أشعنا

في دجىً مؤيسٍ شموعَ التمني

يا أبا ناظم ونحن أرقُّ الناسِ

طبعاً ونحن عُبّادُ فن

نحن مما نسيلُ في كل نفس

كدبِّ النعاسِ من كلِّ جِفن

عَجَبٌ أن نُسام خَسْفاً وأن

نُجفى بلؤمٍ وأن نُباع بغُبن

عجبٌ أن نُطيقَ حكم التجنّي

ونعاني تحكّمَ المتجني

* * *

يا أبا ناظم ورُبّة رهنٍ

فيه لو يُفتدى فكاكٌ لرهن

حرمتنا الحياةَ جذوةُ وعيٍ

وتلظّي قلبٍ ، وإيماضُ ذهن

هنّ هنّ الحياةُ لولا نظامٌ

لسوى الغابِ مُوحشاً لم يُسن

غايةَ الجهد أن يكلَّف حرٌّ

بعبوديّــةٍ تُسنُّ لقَن

يا أبا ناظمٍ وكم فكرةٍ عنّتْ

فجاءت بفكرةٍ لم تعن

أنا ذا - مَن عهِدتَ - حر

صريحُ القول، أُلقي بما لديَّ وأعني

لا مُداجٍ ، ولا مُسرٌّ بحسو

في ارتغاء[1] ولا أُحبُّ التكني

لا أُبالي ما حاكَ نولٌ عليه

أو بما طرَّزت شروحٌ لمتن

يا أبا ناظمٍ وشفعٌ تدنّي

كلّ عالٍ برفعة المتدني

نضُبَ الصبرُ يابن بحرٍ علومٍ

صَخِبِ الموجِ بالفخار مُرنّ

---

(١) إرتغى اللبن : أخذ ما عليه من الرغوة . والرغوةَ : شربها .

أشداةٌ مشرَّدون بلا وكنٍ[1]

وخُرْسُ الطيورِ تأوي لوكن

أفنحن المزعزعونَ عن التُربة

تُسقى دماءا كلَّ قرن

بضحايا تطيحُ في كلِّ دربٍ

وقبورٍ تصيحُ في كلِّ رُكن

افنحن المظَعّنونَ عن الربع

ونحن الحماةُ فيه لظعن

أفنحن الذينَ يرتفعُ السوطُ

عليهم بظَنَّةِ الُمتظني ؟

---

(١) الوَكْن والجمع أوْكُن وَوُكْن وَوُكُون : عش الطائر . والموكِن : الموضع الذي فيه البيض . وأما الفعل فهو وَكَنَ الطائر يكِن وكناً البيضَ أي حضنه .

سوطُ من؟ سوطُ كلِّ علجٍ[1] عليفِ

دَنِسِ الأَصل والمنابتِ عَفِن

أبنوا أمسك القريبِ يُطيحون

بصُبّابةِ[2] الفخارِ الُمسن

لم تلدهم خيرُ البطونِ ، ولا مثلَك

شبُّوا بخير حِجْرٍ وحضن

× × ×

يا أخا الشعب في الرِخاء وفي الشدّة

منه ، وفي سرورٍ وحزن

---

(١) العِلْج والجمع عُلوج واعلاج وعِلَجَة : حمار الوحش السمين القوي .

(٢) الأحجَن والجمع حُجْن : الاعوج . يقال : صقر احجن المخالب اي معوّجها .

طيلةَ العمرِ ما انفككتَ على فقرِكَ

تُعطيهِ ما يَرِبُّ ويغني

كرمُ الشعبُ غير فرطٍ لصوق

بالرزايا لصوقَ خمرٍ بدن

كلّما أنَّ خدروه وقد يثقل داءُ

المريضِ ما لم يَئِن

أفمنه المجنّدون ، ومنهم

كلُّ دِرءِ يومَ الحِفاظ وحِصن

ومدى الدهرِ وهو نُهزةُ تاجٍ

لعقيدٍ غاوٍ ، ونجمةِ ركن

× × ×

يا أبا ناظم وسجنكَ سِجني

وضنىً بي للوعةٍ بكَ تُضني

يخزُ النفسَ أنني غيرُ كفوٍ

لأَردَّ الخطوبَ عنكَ وعني

يابن وِدّي وما بعيدٌ رهينُ السجنِ

عن رهنِ غربَـةٍ مُستمَن

غيرَ أنّ الظروفَ يُبدين فرقاً

ربَّ قُبحٍ يَعود مرآةَ حُسن

يا أبا ناظمٍ وإن تُنْبَ عنّي

فبنُعمى خصمي، وغُمّةِ خِدني

ضحكةٌ مرّةٌ تكشر سنّي

ومسيحٌ من دمعةٍ فوق رُدني

يعصر القلبُ تحتَ ضغطِ همومٍ

ضارياتٍ عُقفِ المخالب حُجن(١)

---

(١) الأحجن والجمع حُجْن : الأعوج . يقال : صقر أحجن المخالب أي معوّجها .

يا أبا ناظمٍ : وربَّ شُجاعٍ

أوردته الحتوف وصمةُ جُبن

أنا ذا أطلبُ الحِمامُ بنفسٍ

لم أُخنْها ، وعزمةٍ لم تَخُنّ

لا لشيء إلّا لأَنَّ المنايا

في مصكِّ الرجالِ أَعرضن عني

حُطِّمتْ آهةٌ على حدِّ أُخرى

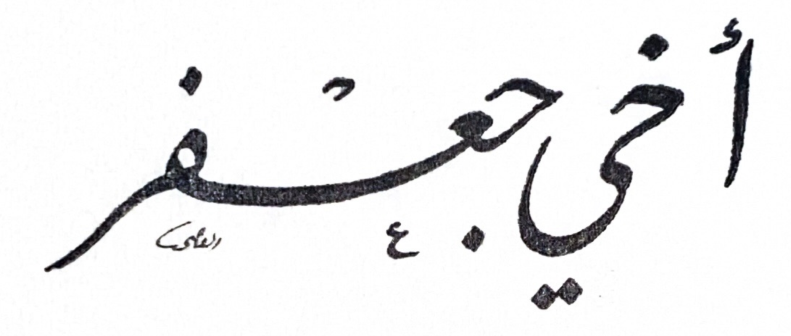
وعلى حدِّها تحطَّم لحني

فإذا ما استعدتُه فلأَني

واجدٌ فيك باعثاً للتغني

يا أبا ناظمٍ وسجنُك سِجني

وأنا منك مثلَما أَنت مني



ألقاها في تــأبين أخيه محمد جعفر الجواهري الذي جرح يوم الوثبة الوطنية على معاهدة بورتسموث البريطانية العراقية عام ١٩٤٨

أَتعْلَمُ أم أنتَ لا تعـلَمُ

بأنَّ جُراحَ الضحايا فمُ

فَمٌ ليسَ كالمدَّعي قَولَةً

وليسَ كآخَرَ يَستَرحِمُ

يَصيحُ عـلى المُدْقِعينَ الجياعِ

أريقوا دِماءَكُمُ تُطْعَمُوا

ويُهتِفُ بالنفرِ المُهطِعين[1]

أهِينوا لِئامَكُمُ تُكْرَموا

* * *

---

(١) المهطعون : الذليلون .

أتعلمُ أنَّ رِقابَ الطُغاة

أثقلَهـــا الغُنْمُ والمأثمُ

وأن بطونَ العُتاةِ التي

مِن السُحتِ[1] تَهضِمُ ما تَهضِمُ

وأنَّ البَغِيَّ الذي يدَّعي

من المجد ما لم تَحُزْ مريم[2]

ستَنْهَدُّ إن فارَ هـــذا الدمُ

وصوَّتَ هذا الفمُ الأَعجمُ

---

(١) السُّحْت : الحرام . ما قبح وخبث من المكاسب . ورجل مُسحْت : واسع الجوف لا يشبع .

(٢) البغي: المرأة غير المحصنة ونقلت هنا تجوزا إلى التذكير . ومريم هي مريم العذراء والمعنى كما يوضحه البيت ان هناك من الرجال من هو بمثابة المرأة الهلوك ولكنه يدعي مجد العذراء مريم وكرامتها .

فيا لكَ مِن مَرْهمٍ ما اهتــدى

إليهِ الأُساةُ[1] وما رمَّموا

ويا لكَ من بَلْسَمٍ يُشتفى

به حينَ لا يُرتجى بَلسمُ

ويا لكَ من مَبسَمٍ عابِسٍ

ثُغورُ الأَماني بــه تَبْسُمُ

* * *

أتعلمُ أنَّ جُراحَ الشهيدِ

تَظَلُّ عن الثأرِ تستفهمُ

أتعلمُ أنَّ جراحَ الشهيدِ

مِن الُجوعِ تَهضِمُ ما تلهمُ

---

(١) الآمي والجمع أساة بوإساء : الطبيب .

تَمُصُّ دماً ثُمَّ تبغي دماً

وتبقى تُلِحُّ وتستطعِمُ

فَقُلْ للمُقيمِ على ذُلِّهِ

هجيناً يُسخَّرُ أو يُلجَمُ

تَقَحَّمْ لُعِنْتَ أزيزَ الرصاصِ

وَجَرِّبْ من الحظِّ ما يُقسَمُ

وخُضْها كما خاضَها الأَسبقونَ

وَثَنِّ بما افتتحَ الأَقدمُ

فإمّا إلى حيثُ تبدو الحيـاةُ

لعينيكَ مَكْرُمَةً تُغْنَمُ

وإمّا إلى جَدَثٍ[1] لم يكُن

ليفضُلَه بيتُكَ المُظلِمُ

* * *

(١) الجدَث والجمع أجداث وأجدُث: القبر. واجتدث: اتخذ جدثاً.

تَقَحَّمْ لُعِنْتَ فما تَرتجي
مِن العيشِ عن وِردِهِ تُحرَمْ
أألوَجعُ مِن أنَّك المُزدَرى
وأقتلُ مِن أنَّك المُعدَمُ
تَقَحَّمْ فمَنْ ذا يَخوضُ المنون
إذا عافهـا الأنكَدُ الأَشأمُ
تَقَحَّمْ فَمَنْ ذا يلومُ البطين[1]
إذا كان مثلُك لا يَقْحُمُ
يقولونَ من هُمْ أولاءِ الرُعاعُ
فأفهِمْهُمُ بدَمٍ مَنْ هُمُ
وأفهِمْهُمُ بـدمٍ أنَّهمْ
عَبيدُكَ إن تَدْعُهم يَخدُموا

---

(١) البطين : من كان كبير البطن .

وأنك أشرفُ من خيرِهمْ

وَكَعْبُكَ من خدّه أكرمُ

* * *

أخي «جعفراً» يا رُواءَ[1] الربيعِ

إلى عَفِنٍ[2] باردٍ يُسلَمُ

ويا زَهرةً من رياض الُخلودِ

تَغوّلها عاصفٌ مُرزِمُ[3]

ويا نَبَساً من لهيبِ الحياة

خَبا حين شبّ له مَضرَمُ

ويا طَلعة البِشرِ أذ ينجلي

ويا ضِحكةَ الفجرِ إذ يَبْسِمُ

---

(١) الرُّواء : ماءُ الوجه أو هو البهاء والحسن .

(٢) العفن البارد : القبر .

(٣) المرزم : الصخاب .

لَثمْتُ جُراحَكَ في « فتحةٍ »

هي المِصحَفُ الطُهرُ إذ يُلثم

وقبَّلْتُ صدرَكَ حيث الصَميمُ

مِن القلبِ مُنْخَرِقاً يُخْرَمُ

وحَيثُ[1] تَلوذُ طيورُ المُنى

به فهي مُفزَعَةٌ حُوَّم

وحيثُ استقرَّت صِفاتُ الرجال

وَضمَّ معادِنَهـــا مَنجَمُ

ورَبَّتُ خدًّا بماء الشبابِ

يرفُّ كما نوَّر البُرعُمُ

ومسَّحتُ مِن خِصَلٍ تدلَّي

عليه . كما يَفعلُ المُغرمُ

---

(١) المرادُ القلب الذي منه تنبعث القوة والضعف .

وعلّلتُ نَفْسي بذوبِ الصديدِ

كما علّلتْ وارداً « زمزمُ »

ولقّطتُ مِن زبَدٍ طافِـــح

بثغرك شهداً هو العَلْقَمُ

وعوّضتَ عَن قُبلتي قُبلةً

عَصَرْتَ بها كلَّ ما يؤلِمُ

عَصَرْتَ بها الذكرياتِ التي

تقضّتْ كما يَحْلُمُ النُوَّمُ

أخي « جعفراً » إنّ رجْعَ السنينَ

بَعْدَكَ عِندي صَدىً مُبْهمُ

ثلاثونَ رُحْنا عليها معاً

نعذَّبُ حِيناً ونستنعِمُ

نُكافِحُ دهراً ويستَسْلِمُ

ونُغلبُ طَوراً ونَسْتَسلِمُ

* * *

أخي « جعفراً » لا أقولُ الخَيالَ

وذو الثأرِ يَقْظانُ لا يَحلُمُ

ولكِنْ بما أُلهِمَ الصابرونَ

وقد يقرأُ الغيبَ مُستَلهِمُ

أرى أُفُقاً بنجيعِ الدماء

تَنَّورَ واختفت الانجمُ

وحبلاً من الأَرض يُرقى بــه

كما قذفَ الصاعِدَ السُلَّمُ

إذا مدَّ كفّاً له ناكثٌ

تصدّى ليقطَعها مُبْرمُ

تكوَّر مــن جُثَثٍ حولَه

ضِخامٍ واجادُها أضخمُ

وكفًّا تُمدُّ وراءَ الحجابِ

فترسِمُ في الأُفُقِ ما ترسِمُ

وجِيلاً يَروحُ وجِيلاً يجيءُ

وناراً إزاءهما تضرَمُ

* * *

أُنبيكَ أنَّ الحِمى مُلهَبٌ

وواديهِ مِــن ألمٍ مُفعَمُ

ويا ويحَ خانِقةٍ مِن غدٍ

إذا نفَّسَ الغدُ ما يَكظمُ

وأن الدماء التي طلَّها

مُدِلٌّ بشرطَته مُعرِمُ

تَنضَحُ مِن صَدرِكَ المُستطاب

نزيفاً إلى اللهِ يَستظلِمْ

ستبقى طويلاً تَجُرُّ الدِماء

ولَنْ يُبرِدَ الدمَ إلا الدمُ

وأنَّ الصدورَ التي فلَّها

و بدعَ في فلِّها مُجرِمُ

و نَثْرَ أضلاعَها نثْرةً

شتاتاً . كما صُرِّفَ الدرهمُ

ستَحضَنُها من صدورِ الشباب

قُساةٌ على الحقِ لا ترحمُ

أخي « جعفراً » إن علمَ اليقين

أُنبِّيكَ إنْ كنتَ تستَعلِمُ

صُرِعتَ فحامتْ عليك القلوبُ

وحَفَّ لك الملأُ الاعظَمُ

وسُدَّ الرُواقُ فلا مَخرجٌ

وضاقَ الطريقُ فلا مَحرَمُ

وأبلغَ عنك الَجنوبُ شمالَ

وعزّى بك الُمعرِق الُمشئِمُ

وَشقَّ على « الهاتفِ » الهاتِفون

وضجَّ من الأَسطُرِ المِرقَمُ(١)

تعلمتَ كيفَ تَموتُ الرجال

وكيف يُقامُ لهم مـــأْتَمُ

وكيفَ تَجُرُّ إليك الجموعَ

كما أنجرَّ للحَرمِ الُمحرمُ

* * *

---

(١) المِرْقم : القلم . المكواة .

ضحِكتُ وقد همهمَ السائِلون

وشقّ على السمعِ ما همهموا

يقولونَ مُتّ وعند الأَساةِ

غيرُ الذي زَعموا مَزعمُ

وأنتَ معافى كما ترتجي

وأنت عَزيزٌ كما تعـلَمُ

ضحِكتُ وقلتُ هنيئاً لهم

وما لفّقوا عنك أو رجّموا

فهم يبتغون دماً يشتفي

به الأَرمدُ العين والأَجذمُ

دماً يُكذِبُ المخلصونَ الاباةَ

بــه المارقينَ وما قسّموا

وهم يبتغونَ دماً تلتقي

عليه القلوبُ وتستَلئِمُ

إلى أنْ صدَقتَ لهمْ ظَنَّهمْ

فيالَك من غارِمٍ يَغنَمُ

فهمْ بك أولى فلمّا نَزَلْ

كجَذْرٍ على عَددٍ يُقسمُ

وهم بك أولى . وإن رُوِّعَتْ

عجوزٌ على فِلذةٍ تلطِمُ

وتكفُرُ أنَّ السما لم تعُد

تُغيثُ حَريباً . ولا تَرْحَمُ

وأختٌ تشُقُ عليك الجيوب

فيُغرزُ في صدرها مِعصَمُ

تناشِدُ عنك بريقَ النُجومِ

لعلَّك مِن بينها تَنجُمُ

وتَزعَمُ أنَّك تأتي الصَباح

وقد كذَّبَ القبرُ ما تَزعَمُ

لِيَشْمَخْ بفقدِكَ أنفُ البلاد

وأنـفي وأنفُهُمْ مُرغَمْ

* * *

أخي « جعفراً » بعهودِ الإخاء

خالِصَةً بيننا أُقسِمُ

وبالدمعِ بعدكَ لا يَنثني

وبالُحزنِ بَعْدَكَ لا يُهزمُ

وبالبيتِ تَغْمُرُهُ وَحْشَةٌ

كقبرِك يسألُ هل تَقدَمُ

وبالصحبِ والأَهلِ يستغربون

لأَنَّكَ منحرفٌ عنهمُ

يميناً لتَنهشُني الذِكرياتُ

عليك كما يَنهُشُ الأَرقَمُ

إذا عادَني شَبَحٌ مُفرِحٌ
تصدّى له شبَحٌ مُؤلِمُ
وأنّي عُودٌ بكفّ الرياح
يَسأل منها متى يُقصَمُ

* * *

أخي «جعفراً» وشجونُ الأَسى
ستَصرِمُ حبلي ولا تُصرَمُ
أزِحْ عن حشاك غُثاءَ[1] الضميرِ
ولا تكتُمنّي فلا أكتُمُ
فإنْ كانَ عندَكَ مِن مَعتَبٍ
فعندي أضعافَه مَنْدَمُ
وإن كُنْتَ فيما أمتُحِنّا به
وما مسّنا قَدَرٌ مُحْكَمُ

---

(١) الغُثاء والغُثّاء : الزَّبد . البالي من ورق الشجر .

تَخَرَّجُ عُذراً يُسَلِّي أخاً

فأنت المدِلُّ به المُنعِمُ

عُصارةُ عُمرٍ بشتى الصُنوفِ

مَلِيءٌ كما شُحِنَ المُعْجَمُ

به ما أُطيقُ دفاعاً بـه

وما هو لي مُحْرِسٌ مُلجِمُ

أسالتْ ثراكَ دموعُ الشباب

ونوَّر منك الضَريحَ الدمُ

أبو العلاء المعرّي

القيت في المهرجان الألفي لذكرى أبي العلاء المعري والذي أقامه المجمع العلمي العربي بدمشق صيف عام ١٩٤٤ وحضرته وفود البلاد العربية وغيرها ومثل فيه صاحب الديوان العراق .

قِفْ بالمعرّة[1] وامسَحْ خدَها التَرِبا

واستوحِ مَنْ طوّقَ الدُّنيا بما وَهبا

واستوحِ من طَبّبَ الدُّنيا بحكمتِهِ

ومَن على جُرحِها مِن روحِهِ سَكبا

وسائلِ الحفرةَ المرموقَ جانبُها

هل تبتغي مطمعاً أو ترتجي طلبا

يا برجَ مفخرةِ الأَجداث لا تهِني

أن لم تكوني لأَبراج السما قطبا

---

(١) المطرح الذي ولد فيه المعري ودُفن .

فكلُّ نجمٍ تمنّى في قرارتِــهِ

لو أنه بشُعاعٍ منكِ قد جُذِبا

والملهمَ[1] الحائرَ الجبارَ هل وصلتْ

كفُّ الردى بحياةٍ بعدَه سببا

وهل تبدّلتَ روحاً غيرَ لاغبةٍ[2]

أم لا تزالُ كأمسٍ تشتكي اللغَبا

وهل تخبَّرتَ أن لم يألُ منطلِقُ

من حُرِّ رأيك يطوي بعدكَ الحُقُبا

---

(١) مفعول به للفعل وسائل ...

(٢) اللاغب والجمع لُغّب : الضعيف . واللّغَب : الضعف .
واللّغوب : الضعيف الأحمق .

أم أنت لا حُقباً تدري ولا مِقةً

ولا إجتواءً[1] ولا برءاً ولا وصبا[2]

وهل تصحّحَ في عقباك مُقترحٌ

مما تفكّرتَ أو حدّثت أو كُتِبا

نوّر لنا، إننا في أيّ مدلّجٍ

مما تشكّكتَ إن صِدقاً وإن كذِبا

أبا العلاء، وحتى اليوم ما بَرِحتْ

صنّاجةُ[3] الشعر تُهدي المترَفَ الطربا

---

(١) الإجتواء: الكره.

(٢) الوَصب والجمع أوصاب: المرض.

(٣) الصنج والصناجة من آلات الطرب وصناجة الشعر المغنون به والمرتزقون أياه والمعنى مخاطبة أبي العلاء الخارج على فكرة ارتزاق الشعراء والمفكرين من أماديح الحاكمين مخاطبته بأن ما شكا منه وخرج عليه لا يزال حتى هذه الساعة وبعد تطور الفكر واتساعه قائماً في البلاد العربية.

يَستنزلُ الفكرَ من عليا مَنازله

رأسٌ ليمسحَ من ذي نعمةٍ ذنبا

وزمرةُ الأَدب الكابي بزمرتِه

تفرقت في ضُلالات[1] الهوى عُصَبا[2]

تَصيّدُ الجاهَ والأَلقابَ ناسيةً

بأن في فكرةٍ قــدسيّةٍ لقبا

وأنّ للعبقري الفذِّ واحدةً

إما الخلودَ وإما المالَ والنشبا

من قبلِ ألفٍ لو انا نبتغي عِظةً

وَعظتنا أن نصونَ العلمَ والأَدبا

×××

---

(١) الضلالات جمع ضلة وهو الابتعاد عن طريق الخير .

(٢) العُصْبة من كل شيء والجمع عُصَب : الجماعة .

عَلى الحصيرِ وكوزُ الماء يَرفُده

وذِهنُه ورفوفٌ تحمِلُ الكُتُبا

أقامَ بالضجةِ الدنيا وأقعدَها

شيخٌ أطلّ عليها مُشفِقاً حَدِبا[1]

بكى لأَوجاعِ ماضيها وحاضرِها

وشامَ[2] مُستقبَلاً منها ومُرتَقَبا

وللكآبةِ ألوانٌ وأفْجَعُها

أن تُبصرَ الفيلسوفَ الحرَّ مُكتئبا

تناول الرثَّ من طبعٍ ومصطلَحٍ

بالنقد لا يتـــأبى أيةً شجبا

---

(١) الحدب : المشفق .

(٢) شام استقبل وتطلع إلى ...

وألهمَ الناسَ كي يَرضَوا مغبَتهم

أن يوسِعوا العقلَ ميدا ناً و مضطَربا

وأن يمدّوا به في كلِّ مُطّرحِ

وأن سُقوا من جناهُ الويلَ و الحربا

لثورة الفكر تاريخٌ يحدِّثنا

بأن ألفَ مسيحٍ دونَها صُلِبا

إنّ الذي ألهبَ الأَفلاكَ مِقْوَلُهُ

والدهرَ لا رغباً يرجو ولا رهبا

لم ينسَ أن تَشمل الأَنعامَ رَحْمَتهُ

ولا الطيورَ ولا أفراخَها الزُغبا

حنا على كلٍّ مغصوبٍ فضمده

وشجّ[1] من كان، أياً كان، مغتصبا

* * *

سَلِ المقاديرَ هل لا زلتِ سادرةً

أم أنتِ خجلى لما أرهقته نصَبا

وهل تعمدتِ أن أعصيتِ سائبةً

هذا الذي من عظيم مثله سُلبا

هذا الضياء الذي يَهدي لِمكْمنِهِ

لِصاً ويُرشِدُ أفعىً تنفثُ العَطَبا[2]

---

(١) شجّ الرأسَ : جرحه . كسره. والمفازة : قطعها . والشرابَ بالماء : مزجه . يقال : فلان يَشُجُّ مرة ويأسو مرة أي يخطيء مرة ويصيب أُخرى .

(٢) عَطِبَ عَطَباً : هَلك . واعطبه : اهلكه .

فإن فخرتِ بما عوضتِ من هبةٍ

فقد جنيتِ بما حملتِه العصبا

***

تَلمّس الحسنَ لم يَمدُد بمُبصِرة

ولا امترى دَرّةً منها ولا حَلبا

ولا تناوَل من ألوانها صِوراً

يَصد مبتعِـد منهن مقترِبا

لكن بأوسع من آفاقها أمَداً

رحباً، وأرهف منها جانباً وشبا

بعاطف[1] يتبنىً كلَّ معتلِجٍ[2]

خفاقُه ويزكّيه إذا انتسبا

---

(١) العاطف : القلب .

(٢) معتلج : ما يخالج القلب من العواطف

وحاضنٍ فُزَّعَ الأَطيافِ أنزلها

شغافَــه وحباها معقِلاً أشِبا

* * *

أهوى على كوّة في وجهه قدر

فَسدّ بالظلمة الثقبين فاحتجبا

وقال للعاطفات العاصفاتِ بـه

الآن فالتمسي من حكمِهِ هربا

الآن يشربُ ما عتَّقتِ لا طفَحاً

يخشى على خاطر منه ولا حببا

الآن قولي إذا استوحشتِ خافقه

هذا البصيرُ يُرينا آية عجبا

هذا البصير يُرينا بين مندرِسٍ

رث المعالم، هذا المرتعَ الخصبا[1]

× × ×

زنجيةُ الليلِ تَروي كيف قلدها

في عرسها غرَرَ الأشعار لا الشُهُبا[2]

لعل بين العمى في ليل غُربتهِ

وبين فحمتِها من أُلفةٍ نسبا

---

(١) المرتع الخصب. يراد به عقل أبي العلاء وروحه.

(٢) البيتان إشارة إلى بيت أبي العلاء المشهور:

ليلتي هذه عروس من «الزنج» عليها قلائـــد من جمان

وأن لهذا الوصف الدقيق الجميل لفحمة الليل وسواده علاقة بما يخيم على المعري من ظلام دامس من العمى.

وساهرُ البرق والسمارُ يُوقِظُهم

بالجزع يخفق من ذكراه مضطرِبا[1]

والفجرُ لو لم يلذْ بالصبح يَشربه

من المطايا ظماءٌ شُرّعاً شُربا[2]

والصبحُ ما زال مُصفرًّا لمقرَنهِ

في الحسن بالليل يُزجى نحوه العتبا[3]

★★★

---

(١) إشارة إلى مطلع قصيدته الرائية المشهورة أيضاً :

يا « ساهر البرق » أيقظ راقـد السمر
لعل بالجزع أعـواناً على السهر

(٢) إشاره إلى بيته وهو أجمل ما سمع في وصف تبلج الصباح :

يكاد الفجر تشربه المطايا وتملأ منه أوعية شنان

(٣) إشارة إلى بيت له من قصيدتـه التي مر ذكر البيت السابق منها وهو :

رب ليل كأنه « الصبح » في الحسن وإن كان أسود الطيلسان

والبيتان من قصيدته الشهيرة التي يقول في مطلعها :

« عللاني فإن بيض الأماني فنيت والزمان ليس بفان »

يا عارياً من نَتاج الُحب تَكرمةً

وناسجاً عَفةً أبراده القشبا(١)

نعوا عليك ـ وأنت النورُ ـ فلسفةً

سوداء لا لذةً تبغي ولا طربا

وحّملوكَ ـ وأنت النارُ لاهبةً ـ

وِزْرَ الذي لا يحسُ الحبَّ ملتهبا

لا موجةُ الصَّدْرِ بالنهدينِ تدفعُهُ

ولا يَشقُّ طريقاً في الهوى سَرَبا(٢)

ولا تدغدغُ منهُ لذةٌ حلماً

بل لا يُطيقُ حديثَ اللّذةِ العذبا

---

(١) القشِب والجمع قُشْب وقُشْب : الجديد . النظيف . الأبيض .

(٢) السَّرب : الماء السائل . والطريق السَّرَب هو الذي يتتابع الناس فيه .

حاشاك، إنك أذكى في الهوى نفساً

سمحاً. وأسلسُ[١] منهم جانباً رطبا

لا أكذبنّك إن الحبَ متَّهمٌ

بالجورِ يأخذ منا فوق ما وهبا

كم شيعَ الأَدبُ المفجوعُ محتَضراً

لدي العيونِ وعند الصدرِ محتَسبا[٢]

صرعى نشاوى بأن الخودَ[٣] لُعبتُهم

حتى إذا استيقضوا كانوا هم اللُعبا

أرتهم خيرَ ما في السحرِ من بُدءٍ

وأضمرت شَرَّ ما قد أضمرت عُقبا

---

(١) السّلِس : السهل اللين المنقاد .

(٢) المحتسب : المفقود بالموت ويقال ذلك للكبير .

(٣) الخَوْد والجمع خَوْدات وخُوْد : المرأة الشابة .

عاني لظى الحبّ «بشار» وعُصبتُه

فهل سوى نهم كانوا لها حَطبا

وهل سوى انهم راحوا وقد نذروا

للحبّ ما لم يجبْ منهم وما وَجبا

هل كنت تخلدُ إذ ذابوا وإذ غبروا

لو لم ترُضْ من جماحِ النفسِ ماصعبا

تأبى انحلالاً رسالاتٌ مقدسةٌ

جاءت تقوّمُ هذا العالمَ الخرِبا

* * *

يا حافر النبع مزهواً بقوّتِهِ

وناصر في مجالي ضعفه الغربا

وشاجبَ الموت من هذا بأسهمِهِ

ومُستمِنّاً لهذا ظلَّهُ الرحبا

اُلمحرجَ اُلموسِرَ الطاغي بنعمته

ان يُشرِكَ اُلمعسَر الخاوي بما نهبا

والتاجُ إذ تتحدّى رأسَ حامِلِهِ

بأي حقٍّ وإجماعٍ به اعتصبا

وهؤلاء الدعاةُ العاكفون على

أوهامهم، صنماً يُهدونه القُرَبى[1]

الخابطونَ حياةَ الناس قد مسخوا

ما سن شَرْعٌ وما بالفطرة اكتُسِبا

والقاتلون عثانيناً[2] مُهرّأةً[3]

ساءت لمحتطِبٍ مرعى ومُحتَطَبا

---

(١) القُرَبى : القرابين .

(٢) العثانين مفردها عُثنون : اللحية .

(٣) تهرّأ الشيءُ : تكسّر . تفسخ . بلي .

والملصِقون بعرشِ اللهِ ما نسجتْ

أطماعُهم. بِدعَ الأهواءِ والرِيبا

والحاكمون بما تُوحي مطامعُهم

مؤوّلينَ عليها الجدَّ واللعبا

على الجلودِ من التدليس(١) مَدرعةٌ

وفي العيونِ بريقٌ يخطف الذهبا

ما كان أيُّ ضلالٍ جالباً أبداً

هذا الشقاء الذي باسم الهدى جُلبا

أو َمعتهم قارصاتِ النقدِ لاذعةً

وقلتَ فيهم مَقالاً صادقاً عجَبا

«صاحَ الغرابُ وصاحَ الشيخُ فالتبستْ

مسالِكُ الأمرِ: أيٌّ مُنهما نعبا»

× × ×

---

(١) الدّلس: الخديعة. والدّلس: الظلمة. ودّلس: كتم عيباً.

أجللتُ فيك من الميزاتِ خالدةً

حريةَ الفكرِ والحرمانَ والغضبا

مجموعةً قد وجدناهُنَّ مُفرَدَةً

لدى سواكَ فما اغنيننا أرَبا

فربّ ثاقبِ رأيٍ حَطَّ[1] فكرتَه

غُنْمٌ[2] فسَفَّ[3] وغطّى نورَها فخبا

وأثقلَتْ مُتَعُ الدنيا قوادَمه[4]

فما ارتقى صُعُداً حتى أدنى صببا

---

(١) حطّ الشيء : رخص . وحطّه . أذّله .

(٢) الغُنْم : ما يؤخذ عنوة .

(٣) سفّ وأسفّ : تردّى .

(٤) قادم الإنسان والجمع قوادم : رأسه

بدا له الحقُ عُرياناً فلم يرَه

ولاح مقتلُ ذي بغيٍ فما ضَر

وان صدقتُ فما في الناس مرتكبُ

مثلَ الأَديب اعان الجور فارتكبا

هذا اليراعُ شواظُ الحق أرهفه

سيفاً وخانعُ رأيٍ رده خشيا

ورب راضٍ من الحرمان قسمتَه

فبرّرَ الصبرَ والحرمانَ والسَّغَبا[1]

أرضى، وإن لم يشأ اطماعَ طاغيةٍ

وحالَ دونَ سوادِ الشعبِ أن يثبا

---

(١) السَّغَب والسغاب : الجوع . ما هؤلاء المبررون فهم الذين يموّهون على أنفسهم وعلى غيرهم وجه الحياة الدميم فيصورونه جميلا عادلا كيما يستنفدوا من الحياة ما فيها من شهوات خسيسة .

وعوّضَ الناسَ عن ذلٍ ومتربةٍ

من القناعةِ كنزاً مائجاً ذهبا

جيشٌ من المثُلِ الدنيا يمدّ به

ذوو المواهبِ جيشَ القوة اللجبا

آمنتُ باللهِ والنورِ الذي رسَمَت

به الشرائعُ غُرّاً منهجاً لَحِبا[1]

وُصدتُ كلَّ دُعاةِ الحق عن زَيغٍ

والمصلحين الهداةَ العجمَ والعربا

وقد حمدتُ شفيعاً لي على رَشَدي

أمّاً وجدتُ على الإسلامِ لي وأبا

---

(١) اللّحْب واللاحب : الطريق الواضح .

لكنّ بي جَنَفاً عن وعيِ فلسفةٍ

تَقْضي بأنّ البرايا صُنّفتْ رُتَبا

وإنّ من حكمةٍ أن يجتني الرُّطَبا

فردٌ بجُهدِ ألوفٍ تعلَكُ الكَرَبا

ما تشاؤون

نظمت عام ١٩٥٢

ما تَشاؤُونَ فاصنعوا

فُرْصةٌ لا تُضيِّــعْ

فرصةٌ أنْ تُحكَّموا

وتحُطــوا وترفعــو

وتَدِلُّوا على الرِّقــابِ

وتُعطــوا وتمنعــوا

× × ×

ما تشاؤُونَ فاصنعوا

لــكُم الأَرضُ أجمــع

لـكُم الناسُ أكتعُ[١]

مِن ذوِيهِمْ وأبصع[٢]

خَوَلٌ[٣] عندكُم ، خُذوا

مَن تَشاؤُونَ أو دعوا

قد خُلِقتمْ لتَحصُدُوا

وعبيـداً ليزرَعوا

لـكُم « الرافـدانِ »

و « الزّابُ » ضرْعٌ فأضرِعوا

---

(١) الأكتع : من انقبضت أصابعه ورجعت إلى كفه .

(٢) الأبصع والجمع بُضع وأبصعون : الأحمق . ويؤكد بهـذا الكلمة فيقال : أخذت حقي أجمع أبصع . ولا تقدم أبصع على أجمع .

(٣) الخوَل مفردها خوْليّ : العبيد والاماء وغيرهم من الحاشية . والخوْلة : الظبية .

تُخصبُ الأرضُ تحتَكمْ

ـ ما أمرتمْ ـ وتمرع[1]

ليتَ أن الجموعَ

فيهنَّ شاءٌ وترتع

ما تشاؤون فاصنعوا

ألجماهيرُ هُطَّع[2]

ما الذي يستطيعهُ

مُستضامون[3] جُوّع !

× × ×

---

(١) مَرِع مَرَعاً : وقع في خصب . تنعّم .

(٢) المُهْطِع : مَن ينظر في ذل وخضوع . وهَطَع هطعاً وهطوعاً : أسرع مقبلا خائفاً . ويأتي الفعل رباعياً كذلك .

(٣) ضامه ضيماً : قهره وظلمه . واستضامه حقه : انتقصه إياه . والضيم والجمع ضُيوم : الظلم . وضِيْمُ الجبل : ناحيته . والضّيمامة : الحاجة .

ما تشاؤونَ فاصنعوا

كلُّ عاصٍ يُطوع

فشبابٌ يُخيفكمْ

للمطاميرِ(١) يُدفع

وضميرٌ يهزُّكمْ

بالكراسي يُزعزَع

ولسانٌ ينوشَكم(٢)

بالدَّنانيرِ يُقطَع

ما تشاؤونَ فاصنعوا

جوِّعوهمْ لتشبَعوا

× × ×

---

(١) المطمورة والجمع مطامير : الحفيرة تحت الارض . وطمَّر الشيء : طواه ودفنه .

(٢) ناشه ينوشه نوشاً : تناوله . طلبه . والنَّؤوش القوي .

مزّقوا ما استطعتمْ

من جلودٍ .. ورقّعوا

هلْ سِوى أنَّ أعيناً

بدمِ القلبِ تَدْمع

وقلوباً نِياطُها

حشرجاتٌ تُقطَّع

وعُراةَ على الدُّروبِ

حَيارى تجمَّع

أرهِبوهمْ لِيضرَعوا

وخُذوهمْ وأوجِعوا

× × ×

ما تشاؤونَ فاصنعوا

وأغِذُّوا وأسرِعوا

قَعقِعوا من قِداحكمْ
فالليالي تُقعقِع

ما تشاؤونَ فاصنعوا
لكُم الناسُ مَصنع

لكُم الُحكْمُ ملعبٌ
في نهار .. ومَخدَع

لكُم الأَمرُ مَسبحٌ
باللُبانات[1] مُترع

ما تشاؤونَ فاصنعوا
وأَجيدوا وأبدِعوا

إنظموا « المالَ » كالقصيدِ
بُحوراً وقطّعوا

---

(١) اللُّبانة والجمع لُبان ولبانات : الحاجة من غير فاقة .

لكنْ « عِقدُه » الفريدُ

وللشّعبِ . . مَصرع !

× × ×

ما تشاؤُونَ فاصنعوا

تستعزُّوا وتُمنعوا

ضيِّقوا ما استطعتمْ

من خَناقِ ووسِّعوا

ما نهبتمْ فوزِّعوا

للحواشي وأقطِعوا

عن ذَوِيكمْ وعنكُم

ألدساتيرُ تَدفعُ

القوانينُ شِرْعةٌ[1]

بحرابٍ[2] تُشرَّع

والأراجيفُ[3] شُرْطةٌ

و « التقاريرُ » مَدفع

والسجونُ المزمجِراتُ

قطارٌ مُدرَّع

والتأويلُ في القضاءِ

بَلاءٌ مُبرقع

× × ×

كاذبٌ مَن يُخيفكمْ

بعِظاتٍ ويصدَع

---

(١) الشِّرْعة والجمع شِرَع وشِرْع : الشريعة .

(٢) الحَرْبَة والجمع حِراب : آلة للحرب من الحديد .

(٣) الأراجيف : الأخبار المختلقة الكاذبة السيئة . يقال : إذا وقعت المخاويف كثرت الأراجيف .

وَيُرِيكُمْ مَصارعاً
لطغاةٍ تصرَّعوا
حسِبوا الليلَ مركباً
فإذا الفجرُ يَطلع
وإذا الدَّرْبُ مُوصَدٌ
وإذا الرِّيحُ زَعْزَع
وإذا كلُّ روضةٍ
أزهرتْ أمسِ بَلقع
كاذبٌ ! كلُّ همِّه
أنْ تخافوا وتفزَعوا
لكُم « الجِنُّ » تهرَعُ
مثلَما « الإنسُ » تخضع

× × ×

أنتمُ « الشمسُ » في
السَّماءِ . وأزكى وأرفع

و « عُقابٌ » على

الَجواءِ منيعٌ . . وأمنع

أنتمُ « الموتُ » هلْ يحين

من الموتِ مصرع ؟

أنتمُ « الُخلْدُ » هلْ يغيضُ

من الخلدِ مَنبع ؟

أنتمُ « السلُّ » يختفي

في صدورٍ . . ويرجع

ما تشاؤُونَ فاصنعوا

فرصةٌ لا تُضيَّع



يَا غريبَ الدّار

نظمت ببراغ خريف عام ١٩٦٢

من لِهَمٍ لا يُجارى

ولآهاتٍ حَيارى

ولمطويٍّ على الجمرِ

سِراراً وجهارا

طالباً ثأرا لدى

الدهرِ الذي يطلبُ ثأرا

من لناءٍ عافَ أهلاً

وصِحاباً ، وديارا

تخِذَ الغربةَ دارا

إذ رأى الذُلَّ أسارا

إذ رأى العيشَ مداراة

زنيمٍ لا يُـــداري

من لستينَ انْصَوتْ

مثلَ دمِ العبد جُبارا[١]

سُوقِطت رجماً كما

يرمي الملبّون الجِمارا[٢]

× × ×

يا غريبَ الدارِ لم يُخْلِ

من البهجـــةِ دارا

---

(١) الجُبار : الهدر . يقال : ذهب دمه جُباراً أي لم يؤخذ بثأره . ويقال : أنا منه خلاوة وجُبار أي بريء منه .

(٢) الجمرة والجمع جمرات وجمار . وجمارُ الحج : الحصى التي يرمي بها الحجاج في مناسك الحج الثلاثة بمنى . ويقال : جاء القوم جمارى أو جماراً أي بأجمعهم .

لم يدعْ طيفاً يواسي

مقـــلةً إلّا إزارا

يمنحُ الشجوَ الثكالى

وشذا الحبِ العذارى

يا نديماً يعصرُ الخمرةَ

ليـــلاً ونهارا

ويُساقي من دمِ القلبِ

أخا الهمِ عُقارا[1]

تأخذُ النشوةَ منـــه

ثم تنساهُ السَكارى

* * *

يا أخا الفطرةِ مجبولاً

على الخيرِ انفطارا

---

(١) العُقار : الخمرة . والعَقْر والعُقْر : وسط الدار .

وأخا البسمةِ ضاهتْ

بسمةَ الفجرِ افترارا

مسحت عن أوجهٍ عاش بها

البؤْسُ اغـــبرارا

تحتها من غُصصٍ ما

يوسعُ القلبَ انفجارا

يا جواداً شابَ كهلاً

فَرْطَ ما خاضَ المغارا

يا سَبوحاً عانق الموجةَ

مـــدّاً وانحسارا

لم يُغازلْ ساحلاً منها

ولا خافَ القرارا

يا دجيَّ العيش ان يَخْبُ

دجى الناسِ أنارا

يا وديعاً ينفضُ الموتَ

بنعليه غبارا

يابنَ « ستّينَ » يعدُّ

العمرُ للروحِ أطارا

غمرةُ خُضتها كما خُضتَ

ابن « عشرينَ » غمارا

يا غريبَ الدارِ ناغِ الشعرَ

يمحُضْكَ الحِوارا

النديمُ السمحُ إنْ راوغَ

نِدمانٌ وجارا

أحرفٌ عِشْتَ وإياهن

عُسْرا ويَسارا

أنت والهمُ اعتساقا

وطِماحاً تتبارى

أبداً تقدَحُها قدَحكَ

في الزَندِ الشرارا

يا غريبَ الدارِ كم نبعٍ

تطامى[1] ثُم غـارا

غيرَ نبعٍ كلّما فجرتَـه

دار فـداري

يا غريبَ الدارِ لا تأسَ

وان ضِقْتَ اصطبارا

خلِقتْ عيناك كي

تعترفا النومَ غِرارا

وضميرٌ راح من جسمِك

يمتصُّ اعتصارا

---

(١) طما الماءُ طمُواً : إرتفع وملأ النهر . والبحرُ : إمتلأ . والنبتُ : طال . وطمت همّتُه : علت . وطما به الخوف أو الهم : اشتد . ويأتي الفعل بالألف المقصورة .

كنتَ منه مثلما

المعصمُ إذ يشكو السِوارا

كان من خَلقِكِ خلقاً

فهو لا يَقوي فِرارا

كان كالمحورِ ما طابقتِ

الدورةُ دارا

× × ×

يا غريبَ الدارِ والأَيامُ

كالناسِ تُداري

وبناتُ الدهرِ يغلِبن

بني الدهرِ ابتكارا

خيرُ ما عندَكِ ما

تحسبُ شرًّا مستطارا

أنْ تذوّبتَ انسجاماً

في الرزايا وانصهارا

ثمناً تدفع عن معركةٍ

خضتَ انتصارا

ديةُ الثائرِ أنْ

يحتملَ النقعَ(1) المُثارا

× × ×

يا غريبَ الدارِ ما فخرُ

المنيبينَ اضطرارا

ما افتخارُ العُود أنْ

تَلوي به الريحُ انكسار

---

(1) النقْع : موضع قرب مكة . الغبار . الماءُ المستنقِع أي المتجمع . القاع . محبس الماء. والنقيع : الرجل الذي أمه من غير قومه .

والهشيمِ اليَبْس أنْ

شبَّتْ به النارُ أوارا

الرجولاتُ اعتزازٌ

يتحدَّى الإغترارا

والمغاويرُ يُجِّدونَ

مدى الدهرِ مَغارا

× × ×

يا غريبَ الدارِ وجهاً

ولساناً ، واقتدارا

ومُزيرَ الناسِ أطياقاً

وإنْ شَطَّ مَزارا

قرّ في ضحضاحةِ كالسيلِ

ينصبُ انحدارا

لا تُشِعْ في النفسِ خُذلاناً

وحَوِّلْهُ انتصارا

لو تشاء الحقّ لاستوفى

بك الربحُ الخسارا

إِحْصِ ما ساقطتَ من

مُثمرةٍ ترضَ الثمارا

أنتَ شئتَ البؤسَ نُعمىً

ورُبى الجنّاتِ نارا

كنتَ حرباً والليالي

واللذاذاتِ الكُثارا

شئتَ ان تُحْرَمُ من

دنياً ، ترضّتك مِرارا

شئتَ أن تهوى الذي

غَيْرُكَ سمّاه انتحارا

شئتَ كيما تمنحَ الثورة

رُوحاً أن تُثارا

إختياراً شئتَ ما الناسُ

يشاؤُون اضطرارا

كنتَ لولا ذمـةٌ

تملك في الأمر الخيارا

عبَّدوا دربَكَ نهجاً

فتعمدتَ العثارا

وتصوَّرت الوجولاتِ

على الضرِّ اقتصارا

لم تكنْ فذًّا ولا كانَ

لك البؤسُ احتكارا

أنت من بؤسِ الملايين

تُخيِّرتَ اختيارا

كنتَ للمقرورِ نارا

ولضليلٍ صُوارا[1]

كنتَ عن جيلٍ تبنّتك

رزاياه شِعارا

لو خَلا مِن صورةٍ

أنتَ عليها لاستعارا

يا غريبَ الدارِ مَنسيًّا

وقد شعَّ ادّكارا

عاش والناسَ كما عاش

غريان ضِرارا

---

(1) الصُّوَار والجمع صِيْران : قطيع البقر . الرائحة الطيبة . القليل من المسك . وعاء المسك .

ذنبُه أن كانَ لا

يُلقي على النفس سِتارا

أنّه عاش ابتكارا

ويعيشون اجترارا

زمناً حتى إذا الموتُ

طواه فتوارى

واستبدَّتْ ظُلمةُ القبرِ

به .. عاد مَنارا

أسرجوا « الإكليلَ » غارا

يستجِدُّون فَخارا

ويُضيفونَ إلى عارٍ

من الخِسَّةِ عارا

× × ×

يا غريبَ الدارِ لم تَكْفَلْ

له الأَوطانُ دارا

يا « لبغدادَ » من التاريخِ

هُزءاً واحتقارا

عندما يرفع عن ضيمٍ

أنالتهُ الستارا

حلاءتهُ ومرَت للوغدِ

أحلافاً غِزارا

واصطفت بُوماً وأجْلَتْ

عن ضِفافَيها كنارا[1]

---

(١) الكَناريّ : طائر حسن الصوت قوادم جناحيه طويلة يميل لونه إلى الصفرة وينسب إلى جزائر كناريا .

وأقامت من دمِ كلّسَهْ

الحقـــدُ جدارا

وأجالت أعيناً حُولاً

من الغيظِ ازورارا

وأرتهُ الضحكةَ الصفراءَ

عن خبثٍ توارى

فهي كالشوهاء ألقتْ

تستر القبحَ الخِمارا

واستجاشت زُمر البغي

نُفاياتٍ خُشارا

شُرَّهَ الأحقادِ كالُجوعانِ

يشتمُ القُتـــارا[1]

---

(١) القُتار : الدخان من المطبوخ . رائحة البخور واللحم والشواء . ولحم قاتر : له قتار لدسمه .

كلُّ مهتوكٍ يرى

في هتكِهِ ستراً دثارا

يا لأَجنادِ السفالاتِ

انحطاطاً وانحدارا

وجدت فرصتَها في

ضيعةِ القوم الغَيارى

* * *

يا غريبَ الدارِ يا من

ضَرَبَ البيدَ قمارا

ليس عاراً أنْ تُولّي

من مُسِفّينَ فِرارا

دَعْ مَباءاتِ وأجلافاً

وبيئّينَ نَجارا

جافِهِمْ كالنسرِ إذ

يأنفُ دِيدانَاً صِغارا

خلقةٌ صُبَّتْ على الفَجرةِ

دعها والفَجارا

ونفوسٌ جُبلت طينتُها

خِزياً وعارا

خَلُّها يستلُ منها الحقدُ

صلبا وفَقارا

خَلِّ مسعوراً دماً

استكلَبَ.. لا تُشفِ السُعارا[1]

---

(1) السُّعار : الحر . توهج العطش . شدة الجوع . والمسعور هو الحريص على الأكل وإن امتلأ بطنه .

وذبيح الإحن[1] السوداء

دعــه والشفارا

أنتَ لا تقدرُ أن تزرعَ

في العور احورارا

وقتادُ الشوك لا يحصده

الجاني عَمــارا[2]

وجنى حنظلة لا يمنح

الشهد اشتيارا

* * *

---

(١) أحِن أحناً : أضمر العداوة وحقد ، وآحنه مؤاحنة : عاداه ، والإحنة والجمع إحَن : الحقد .

(٢) العَمار : الريحان يُزيّن به مجلس الشراب ، التحية .

يا صليب العود يأبى

حين يُلوى الإنكسارا

يا غريب الدار ما سِيّانِ

دعوى وافتخارا

كاشفٌ نفساً كما

يلتمعُ النجمُ ازدهارا

ومداجونَ ، يَضبون

وجاراً فوِجارا

بَعُدَ الدربانِ غاياً

وطموحاً ، واختبارا

ولقد احسنتَ إذ

شئتَ الأَشق الإختيارا

يا غريبُ الدارِ في

قافلةٍ سارت وسارا

لمصيرٍ واحدٍ ثم

تناستْ أينَ صارا

سامحِ القومَ انتصافا

واختلِقْ منك اعتذارا

علّهم مِثلَكَ في

مفترقِ الدّربِ حَيارى

سِرْ وأيامهم على دربِ

المشقاتِ سفارا

فإذا ما عاصفُ الده

رِ بكم ألوى وجارا

فكن الأَوثقَ عهدا

وكُنْ الأَوفى ذِمارا

قل لهم إنّك قد طِحْتَ

وأياهم نُثارا[1]

مثلما الزهرُ أطارَتْهُ

عصوفٌ فاستطارا

أو فلا لومٌ، ولا عذرٌ

ولا قولٌ يُمارى

سِرْ على نهجِكِ كالخرِّيتِ[2]

بالنجمِ استنارا

---

(١) النثار والنثارة : ما تناثر مما نُثِر . والنُّثار : ما يُنثر في العرس على الحاضرين. ورجل نثور وامرأة نثور : كثير أو كثيرة الولد .

(٢) الخِرِّيت والجمع خراريت وخَرارات : الدليل الحاذق الذي يهتدي إلى أخرات المفاوز ، وهي مضايقها وطرقها الخفية . والخَرْت : الطريق البيّن .

جمال الدين الأفغاني

هَوِيتَ لِنُصرةِ الحقِّ السُّهادا

فلولا الموتُ لم تُطِقِ الرُّقادا

ولولا الموتُ لم تَتْرُكْ جِهاداً

فَلَلْتَ[1] به الطُغاةَ ولا جِلادا

ولولا الموتُ لم تُفْرِحْ فُرادى[2]

صعقْتَهُمُ، ولم تُحزِنْ سوادا

---

(١) فَلّه فلّا : هزمه . وتفلّل السيفُ أو القوم وانفلّ : تثلّم ، وانهزم .

(٢) الفَرْد والجمع أفراد وفُرادى : من لا نظير له .

ولولا الموتُ لم يَذهبْ حريقٌ

بيانعةٍ وقد بَلَغتْ حَصادا

وإنْ كانَ الحِدادُ يَرُدُّ ميتاً

وتَبلُغُ منه ثاكلةٌ مُرادا

فإنَّ الشَّرقَ بينَ غدٍ وأمسٍ

عليكَ بِذِلَّةٍ لبِسَ الحِدادا !

× × ×

ترفَّعْ أيُّها النجمُ المُسَجَّى

وزِدْ في دارة الشَّرَفِ اتّقادا

ودُرْ بالفكرِ في خَلَدِ[1] الليالي

وجُلْ في الكون رأياً مُستعادا

---

(١) الخلد : البال والقلب .

وكُنْ بالصَّمتِ أبلغَ منك نُطْقاً

وأورى في مُحاجَجةِ زِنادا

فإنَّ الموتَ أقصرُ قِيدَ[1] باعٍ

بأنْ يَغتالَ فِكراً واعتقادا

× × ×

جمالَ الدين ، يا روحاً عَليًّا

تنزَّلَ بالرسالة ثمَّ عادا

تجشَّمْتَ المهالكَ في عَسوفٍ[2]

تجشَّمَهُ سواكَ فما ٱستَقادا

طَريقِ الخالدينَ ، فمَنْ تَحامى

مصائرَهُمْ تَحاماه وحادا

---

(١) القاد والقِيد : القدر والمسافة .

(٢) العَسّاف والعَسوف والمِعْسَف : الشديد العسف والظلم .

كثيرِ الرُعْبِ بالأَشلاءِ ، غطَّتْ

مَغاورَهُ الجماجِمُ والوِهادا

جماجِمُ رائدي شَرَفٍ وحقٍّ

تهاوَوا في مَجاهلهِ ارتيادا !

وأشباحُ الضحايا في طواهُ

على السارينَ تحتشِدُ احتشادا !

وفوقَ طُروسه خُطَّتْ سُطورٌ

دمُ الأَحرار كان لها مِدادا

شقَقْتَ فِجاجَهُ لم تَخْشَ تَيْهاً

ومَذْئبةً ، ولَيلاً ، وانفرادا

لِأَنَّكَ حاملٌ ما لا يُوازى

بقُوَّتهِ : العقيدةَ والفؤادا !

وتختلِفُ الدُروبُ وسالكوها

وغايتُها ، دُنوًّا وابتعادا

وَيختلفُ البُناةُ ، ورُبَّ بانٍ
بَنى مِن فِكرةٍ صَرحا وشادا
وأنتَ ازددتَ من سُمٍّ زُعافٍ
تَذَوَّقَهُ سِواكَ فما آستزادا
نضالِ المستبدِّ ، يَرى آنكشافاً
عَمايتَه ، وعثرتَه سَدادا
إذا آستحلَى غَوايتَه وأَصغى
إلى المتزلِّفينَ له تمادى

خَشِيتَ اللهَ عن عِلمٍ ، وحق
إذا لم تَخشَ في الحقِّ العبادا
وَجدْتَ اللذَّةَ الكُبرى فكانت
طَريفَ الفِكرِ والهِمَمِ التِلادا
وأعصاباً تَشُدُّ على الرَّزايا
إذا طاشَتْ وتَغلِبُها اتّئادا

ولمّا كنتَ كالفجر انبلاجاً

« وكالعنقاء تكْبُرُ أنْ تُصادا[1] »

مَشَيْتَ بقلب ذي لبَدٍ هَصورٍ

« تُعانِدُ من تُريدُ له العِنادا »

صلبَ العُودِ ، لم يَغمِزْكَ خوفٌ

ولم تَسهُلْ على الترَفِ انعقادا[2]

ولم تَنزِلْ على أهواءِ طاغٍ

ولا عمّا تُريدُ لِما أرادا

ولم تجدِ الأَمانيَ والمنايا

مُبرِّرةً عن الحقِّ ارتدادا

---

(١) في هذا البيت والبيت الذي يليه تضمين لبيت المعري المشهور :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا

(٢) انعقد الشيء وعليه أي خلص له واستقام .

ولم أرَ في الرجالِ كمُستَمِدٍّ
من الحقِّ اعتزازاً واعتدادَا

وكان مُعسكرانِ : الظُلْمُ يَطغى
ومظلومٌ ، فلم تَقفِ الحيادا

ولم تحتجَّ أنَّ البَغْيَ جيشٌ
وأنَّ الزاحفينَ له فُرادى

ولا أنَّ الليالِيَ مُحرِجاتٌ
وأنَّ الدَّهرَ خصمٌ لا يُعادى

وأنَّ الأَمرَ مرهونٌ بوقتٍ
ينادي حينَ يأْزفُ[1] لا يُنادى

مَعاذيرٌ بها ادَّرَعتْ نُفوسٌ
ضعافٌ تَرهَبُ الكُرَبَ الشِّدادا

---

(١) يأزف أي يحين .

تُريدُ المجدَ مُرتمياً عليها

جَنىً غضًّا تَلَقَّفُهُ ازدِرادا !

× × ×

جمالَ الدينِ كنتَ وكانَ شَرقٌ

وكانتْ شِرعةٌ تَهَبُ الجهادا

وكانت جَنَّـــةٌ في ظِلِّ سيفٍ

حَمى الفَردُ الذِمارَ به وذادا

وإيمانٌ يقودُ الناسَ طَوعاً

إلى الغَمَراتِ فَتوىً واْجتهادا

وناسٌ لا الحضارةُ دنَّسَتْهُمْ

ولا طالُوا مع الطَمَعِ امتِدادا

وكانت «عُروةٌ وُثْقَى[1]» تُزَجَّى

لمنقَسِمينَ حُبًّا واْتحادا

---

(١) العروة الوثقى هي المجلة التي كان يصدرها بباريس الأفغاني ومحمد عبده .

ونيَّةُ ساسةٍ بَسَطَتْ فبانت

ووجْهُ سياسةٍ جلَّى وكادا

وحُكمٌ كالدُّجى عُريانُ صافٍ

فلم ينكِرْ، إذا انتَسبَ، السَّوادا

ولم يُدخِلْ من الألوانِ ظِلاًّ

يلوذُ به انتقاصاً وازديادا

دَجا قَسْراً وسادَ، وكان شَهماً

صريحاً أنَّه بالرُّغمِ سادا

وجِئتَ ورِفقةٌ لك كالدَّراري

لضُلَّالٍ بغَيْهَبِه، رشادا

تَصُدُّ عُبابهُ[1] وجهاً لوجهٍ

وتَزْحَمُهُ[2] انعكاساً واطّرادا

* * *

جمالَ الدينِ كنتَ وكانَ عهدٌ

سُقيتَ لِما صَمدْتَ له العِهادا[3]

نَما واشتطَّ واشتدَّتْ عُراه

وزادَ الصامدونَ له اشتدادا

مَشَتْ خمسونَ بعدَكَ مُرْخياتٍ

أَعِنَّتَها ، هِجاناً لا جِيادا[4]

---

(١) العُباب : معظم السيل ، ارتفاع السيل ، وعُباب البحر : موجه .

(٢) زَحَمَهُ زَحْماً وزِحاماً : ضايقه . دافعه في محلٍّ ضيق .

(٣) العَهْدَة والعِهْدَة والجمع عِهاد : أول مطر الربيع .

(٤) الجواد والجمع جياد : سريع الجري . والجيِّد والجمع جياد : عكس الرديء .

مُحمَّلةً وُسُوقاً[1] من فُجورٍ
وشامخةً كَمُحْصَنةٍ تهادى

تحوَّرَتِ السياسةُ عن مَداها
إلى أنأى مَدىً وأنفـــلَّ زادا

وباتَ الشرقُ ليلَتَه سَليماً
على حالينِ ما ٱختَلَفا مَفادا

على حُكمَينِ من شفعٍ ووَتْرٍ
عُصارةُ كلّ ذلك أنْ يُسادا

ولُطِّفَتِ الإبادةُ ، فهو حُرٌّ
بأيِّ يَدٍ يُفَضِّلُ أنْ يُبادا !

ومُدَّتْ إصْبَعٌ لذويهِ فيـــهِ
فعاثَتْ فوقَ ما عاثُوا فَسادا !

---

(١) الوَسق والجمع وسوق : وقر النخلة .

فكَمْ في الشَّرقِ من بَلدٍ جريحٍ
تشَكَّى لا ٱلجروحَ بَلِ الضمادا !

تشَكَّى بَغيَ مُقتادٍ بغيضٍ
تأَبّى أنْ يُطاوعه انقيادا

فكانتْ حِيلَةٌ أنْ يمْتَطيهِ
رضيعُ لُبانه[1] فبغى وزادا

صَدىً للأجنبيّ ، ورُبَّ قَفْرٍ
أعادَ صدىً فسُرَّ بما أعادا

وكان أجلَّ من زُمَرٍ إذا ما
تجنَّى المُستبيحُ ، بها تفادى

فكانوا منه في العَوْراتِ سِتراً
وكانوا فوقَ جمرتهِ رمادا

---

(١) اللُّبان : الصنوبر . الكُنْدُر كأنه "لبَن" يتحلب من شجرة .
واللّبان : الصدر أو ما بين الثديين . واللّبان : الرضاع .

تروّي من مَطامعهِ وأبقى

لهم من سُؤرِ ما ورَدَ، الثمادا[1]

وكان إذا تهضّمهُ غريبٌ

أقامَ له القيامــةَ والمعادا

فأسلَمَهُ الغريبُ إلى قَريبٍ

يسخّرُهُ كما شاءَ اضطهادا

وكان الأجنبيُّ وقد تولَّى

زمامَ الأمرِ واغتصَبَ البلادا

يري أدنى الحقوقِ لهمْ عليه

مُساغَ النقدِ والكَلِمَ المُعادا

فأضحوا يَحسبونَ النقد فتحاً

لو استطاعوا لما يَصِمُ انتِقادا

---

(١) الثَّمْد والثَّمَد والجمع ثِماد: الماء القليل يتجمّع في الشتاء وينضب في الصيف. الحفرة يجتمع فيها ماء المطر.

فبئسَ مُنىً لمصفودٍ ذليلٍ

لَوَ أنَّ يَديه لم تضَعا الصِفادا

وبئسَ مَصيرُ مُفتَرشينَ جمراً

تمنّيهم لو افتَرشوا القَتادا[1]

وكانوا كالزُّروعِ شَكَتْ مُحولاً[2]

فلمّا استَمْطَرَتْ مُطِرَتْ جَرادا !

---

(١) القتاد : شجر صلب له شوك كالابر .

(٢) المَحْل والجمع مُحول وأمحال : الشدّة . الجدب . الجوع الشديد . انقطاع المطر ويبْس الأرض. ورجل محْلٌ أي لا يُنتفع به.



الشَبابُ المرّ

تعود هذه القصيدة إلى خمسين سنة خلت .

طَوَتِ الخطوبُ من الشبابِ صحيفةً

لم ألقَ منها ما يعزُّ فراقَها

وَمُسَهَّد راع الظلامَ بخاطرٍ

لو كان بالجوزاء[1] حَلَّ نطاقَها

ترنو له زهرُ النجومِ وإنها

لو أنصفته لسوّدتْ أحداقَها

أفدي الضلوعَ الخافقاتِ يروعني

أن الرُّقادَ مُسْكِنُ خِفاقَها

---

(١) الجوزاء : برج في السماء .

وأنا المواخذُ في شظايا مِهجةٍ

حملت ما لا تستطيع رفاقها

ضمنت لي العيشَ المهنأ لوعةٌ

أخذت على شُهُبِ السما آفاقها

يشتاقُ أن يَرِدَ اللواذعَ منهلاً

صبٌّ ولولا لذةٌ ما اشتاقها

هَزِجٌ إذا ما لورقٍ يحنُّ لأَنني

خالفتُ في حبِّ الأَسى أذواقَها

كم نفثةٍ لي قنعتْ وجهَ الدجى

هماً وأوحت للسها إخفاقها

ومهوّنٍ وجدي عدته لواعجٌ

أخرسنَ ناطقَ عذلهِ لو ذاقها

ما في يدي هي مهجةٌ وهفا بها

داءٌ ألحّ وعبرةٌ وأراقها

***

يا مهبطَ الرُّسُلِ الدعاةِ إلى الهدى

علياً بديك عن العلى ما عاقها

زحفتْ بدرجةِ الخطوبِ ففاتَها

شأو المجدِ من الشعوب وفاقها

لحقتْ فلسطينٌ بأندلسٍ أسى

والشامُ ساوت مصرَها وعراقَها

مهضومةٌ من ذا يردُّ حقوقَها

وأسيرةٌ من ذا يفكّ وثاقها

يسمو القويُّ وذاك حكمٌ لم يدعْ

حتى الغصونَ فشذّبتْ أوراقها

نقضت مواثيقَ الشعوبِ ممالكٌ

باسمِ العدالةِ أبرمت أرهاقها

لم تُنصفوا الأُمم الضعافَ وَرِدْتُمُ
عذبَ الحياةِ وأوردت غَساقها[1]

إن الذي قسّم الورى جعل الحبا
نصفاً وقسّم بينهم أرزاقها

× × ×

هبّي ليوثَ المشرقينِ وجدّدي
منها الحياةَ وقوّمي أخلاقها

صبحُ الآمالِ أشرقَ إن يكن
حقاً فَشمسُك عاودتْ إشراقها

أسمعتِ تهدارَ الاسودِ مهاجةً
تحمي العرينَ وهل رأيتِ وفاقها

---

(١) الغَساق : المنتن . البارد .

تلك الشعوبُ المستكينةُ من جلا

عنها القذى حثّها . من ساقها

ولقد علمتُ بأن ذاك لغايةٍ

تسمو بها ذا كثرت إطراقها

لك في محاني الدردنيلِ معاصمٌ

آلت تمدُّ على رباك رواقها

حلفتُ بمجدِ الشرقِ لا خانت له

عهداً فأحكمَ حلفُها ميثاقها

سواستبول ..

نظمت ببغداد عام ١٩٤٢ حين اشتداد المعارك الضارية في « سواستبول » القاعدة السوفياتية البحرية الشهيرة خلال الحرب العالمية الثانية . وقد استبسلت القوات السوفياتة المدافعة عن المدينة استبسالا كان مثار اعجاب العالم .

يا « سواسبولُ » سلامٌ

لا يَنَلْ مجدَكِ ذامُ

لا عرا السيفَ حُساماً

ذَرِبَ الحَدِّ ٱنثِلامُ

لا يَنَلْ منكِ بما

أُوذيْتِ في اللهِ ٱهتضام

لكِ فيما يُنقِذُ العالَمَ

رَوْحٌ[1] وجِمام[2]

(١) الرَّوْح : الفرح . الرحمة . النصرة . الراحة .

(٢) الجَمّة والجمع جِمام : البئر الكثيرة الماء. والجَمّ والجمع جِمام وجُموم : من الماء معظمه .

في الضَّحايا الغُرِّ من
آلكِ للحقِّ دِعام
كلُّ شِبْرٍ فوقَهُ مِن
جُثَثِ القتلى وِسام
يذهبُ الدَّهرُ ويبقى
من تفانيكِ نِظام
الحِفاظُ(١) المرءُ ما أنتِ
عليهِ والذِّمام
والحِفاظُ المرءُ ــ
أُغرِمْتِ بهِ ــ موتٌ زُؤام

* * *

(١) الحفاظ : الأنفة . الغضب .

يا « سواسبول » سَقاكِ

الدَّمُ يزكو لا الغَمام[1]

أعلى الذَّبحِ اَستباقٌ ؟

أعلى الموتِ اَزدحام ؟

أهيَ سوقٌ لمباراةِ

اللَّذاذاتِ تُقام ؟

اَلرَّدى واَلمجدُ والأشلاء

والصُّلْبُ رُكام

قلعةٌ شرقيَّــةٌ في

كُرْبَةِ الأَرض اَبتِسام

يَهرَمُ الدَّهرُ فإنْ

عَنَّتْ له فهوَ غُلام

---

١) الغَمام : السحاب .

شامخٌ مِمَّـــا أتى

أبناؤُها الصِّيدُ الكِرام

شُعْلَةٌ للحقِّ غطَّاها

مِنَ الظُّلْمِ ضرام

× × ×

يا « سواسبولُ » سلامٌ

وانحناءٌ واحتشام

ما عسى يَبلُغُ — مِن هذا

الذي جئتِ — كلام

وعلى أرضِكِ آياتٌ

بليغاتٌ « عِظام[1] »

---

(١) يصح أن يراد بـ « عظام » هنا عظام الذين ستشهدوا من أبنائها على سبيل التورية ، وأن يكون ظاهر اللفظ وصفا لـ « الآيات » .

هيَ في السِّلْمِ حياةٌ

وهيَ في الموتِ احترام

حولَ أسوارِكِ مِن أطيافِ

« أنصارٍ » زِحام

مُنْهَكاتٍ فقعودٌ

مِن وَجيبٍ وقِيــام

نُثِرَتْ كُرْهاً وَطَوْعاً

سُجَّداً حولَكِ هام

× × ×

يا « سواسبولُ » ووجهُ

الدَّهرِ يَصْحو ويُغام

وسنا البدرِ انتكاساتٌ

فَنَقْصٌ وتَمام

ومنَ السُقْمِ علاجٌ

ومنَ البُرْءِ سَقام

يا مناراً يُرْشِدُ العالَمَ

والدُّنيا ظَلام

مرَّ عامٌ كلُّ يومٍ

منهُ في التاريخ عام

كلُّ آنٍ يَسألُ العالمُ :

ماذا يا عِصام ؟ [1]

كيفَ « خَرْ كُوفُ » وهلْ

بَعْدُ عِتابٌ أو مَلام ؟

---

(١) إشارة إلى المثل العربي الذي هو قول النابغة الذبياني – ولكن ما وراءك يا عصام –

كَيفَ « رُستوف » لها بـ

« الأَسودِ » الطّامي اعتصام[1]

وهَلِ القَفْقاسُ ـ كالعهدِ ـ

جيادٌ وَسوام[2]

وأغانيُّ ، وأرباضٌ ،

وكَرٌّ ، واقتحام

لبنيهِ والذُّرى الشُّمُّ

على الموتِ اعتِام

---

(١) خركوف ورستوف من المدن الروسية التي كان لأهليها بلاء محمود في الدفاع وصد المعتدين . أما الأسود الطامي فهو البحر الاسود .

(٢) السائمة والسوّام والجمع سوائم : الماشية والإبل الراعيــة . والسؤام : ظائر .

صهوةُ[1] الأدهمِ[2] ،

والفارسُ يُزهى ، والحُسام

× × ×

زُبُرُ[3] « الفولاذِ » قدْ

أفرغها قَيْنٌ همام

أُمّةٌ لا صَدْعَ فيها

لا ٱرتجاعٌ ، لا ٱنقسام

إنَّهُ « الإيمانُ » إيثارٌ ،

وعدلٌ ، ووِئام

---

(١) الصَّهْوَة والجمع صِهاء وصَهَوات : مقعد الفارس من الفرس .

(٢) الأدهم : القديم من الآثار أو الجديد فيها . الأسوَد . القيد وسمّي كذلك لانه أسود .

(٣) الزُبْرة والجمع زُبَر وزُبُر : القطعة الضخمة من الحديد ، السندان ، الكاهل والظهر .

مُثُلٌ زالَ بها جُوعٌ ،

وجهلٌ ، وٱحتِكام

هكذا تُنْبتُ أرضٌ

هيَ بالحقِّ ٱقتسام

يملِكُ الزّارِعُ ما يزرَعُ

لا عَبــداً يُسام

× × ×

صرَّحَ الشرُّ وجَلَّى

وٱنجلَى عنــهُ اللِّثام

وبدا الغدرُ شَتيْمَ

الوجهِ يعلوهُ ٱلقَتام

وَخمَ المرتَعُ بالباغي

وَحَــلَّ ٱلانتقــام

جوَتِ الفُلْكُ مُلِحّاتٍ

وحانَ الارتطـام

دُونَكِ الغاربَ جُبِّيهِ[1]

فقـد جُبَّ السَّنام

بيَّتَ الجاني على

« الفَعْلَةِ » فالصَّفْحُ أثام

وٱستَوى الحالُ فمعنى

أنْ يَعفّوا أنْ يُضاموا

فالدمُ الغالي حَلالٌ

وتحاشيـهِ حَرام

---

(١) جَبَّهُ : قطعه . والجُبّ والجمع أجباب : البئر العميقة وقد سمّيت بذلك لانها قُطعت قطعاً .

بَرَّرَ « اَلْفَجْرَةَ » وٱستامَ

اَلخنا جيشٌ لُهام(١)

فالقُرى ، والشِّيبُ ،

والرُّضَّعُ ، للنّارِ طَعام

أَهيَ ذي القُوَّةُ يعتَزُّ

بها هُجْنٌ طَغام(٢)

أيُّ سُخْرِيَّةِ أهواءِ

أُناسٌ أمْ هَوام ؟

الْحديدُ الضَّخْمُ يَختارُ

أَحرْبٌ أمْ سلام ؟

---

(١) اللُّهام : الجيش العظيم كأنه يلتهم كل شيء .

(٢) الطَّغام والواحدة طَغامة : أوغـــاد الناس للواحد والجمع ، والعامة تقول أوباش .

والخَنا والنُبْلُ يقصي
فيهما هذا الحُطام ؟
ما لهـذا الوحشِ مِن
ناهٍ ؟ وللخيلِ لجام
فسَلُوا المعطاشَ للدَّمّ
أما بُلَّ الأُوام[1]
وسَلُوا الحُبلى لقاحَ الشَّرّ
هلْ بعدُ وِحام[2]

× × ×

بشِعَ الفنُّ وذابت
صُوَرُ الرِّفْقِ الوِسام

(١) الأوام : العطش . والأوام : دواء الرأس .
(٢) وَحِم يَحِم الشيء : اشتهاه . ووحمت المرأة : حبلت واشتدت شهوتها لقسم من المآكل . والوِحام : الإسم من وحمت الحبلى .

وأنبرى أشنعُ ما

خطَّ وشطَّ ٱلاجترام

جَمَدَ الطفلُ على الثَّدي

فهلْ هذا ٱنسجام ؟

وهَلِ ٱلبَتْرُ ٱبتداعٌ

وهَلِ السَّمْلُ[1] ٱلتزام ؟

وهل الأَلوانُ ، والأَضواءُ ،

سِيقانٌ وَهام ؟

وهل الحِيطانُ بالأَحياء

تُبنى وتُقام ؟

فِكْرَةٌ مِن وَحْيِ أهل

الكَهْفِ ، إذ مَلّوا فناموا

---

(١) سمَل عينَه سمْلاً : فقأها، والسَّمال : الذي يفقأ العيون .

يا سواسبولُ : سلامْ

وهيامٌ ، وغرام

وتسابيحُ تَغَنَّى

بكِ ما غَنَّى حَمام

يا سواسبولُ : سَيَنْجابُ

مِن الشَّرِّ قَتام[١]

وستَستيقِظُ أجيالٌ على

الذّلِّ نِيام

وسيَنْجَرُّ على شوكِ

الجماهير عُرام[٢]

× × ×

(١) القَتام والقتمة : الغبار الأسود .

(٢) العَرام من الجيش الشدّة والكثرة . والعُرام من الرجل الشراسة والأذى .

يا سواسبولُ : مصيرُ

البغيِ ما دوَّى رُغام[1]

وحديدٌ صُبَّ في مُستَنْقَعِ

العُهْرِ[2] كَهام[3]

يا سواسبولُ : سلامُ

لا يَنَلْ مجدَكِ ذام

---

(١) الرُّغام : المخاط . والرَّغام : التراب . الذل الانقياد على كره .

(٢) هذه الكلمة مفتوحة العين والهاء .

(٣) الكَهام والكهيم : الكليل البطيء . الذي لامال عنده .

عَنَاء...

نظمت ببغداد عام ١٩٢٩

عنادٌ من الأَيامِ هذا التعسفُ

تُحاول منّي أن أُضامَ وآنفُ

وتَطلبُ أن يُستل في غير طائلٍ

لسانٌ فُراتيٌّ المَضاربِ مُرهف

وللنَفسِ من أن تألفَ الذُّلَّ خُطَّةٌ

أَجلُّ . ومِن أنْ تُرخصَ القولَ أشرف

فكان جزائي شرَّ ما جُوزيَ امرؤٌ

عن العيشِ ملتاثِ الموارد يعزف

* * *

تعرَّفْ إلى العيشِ الذي أنا مُرهَق

بـه . وإلى الحالِ التي أتكلّف

تَجِدْ صورةً لا يشتهي الحرُّ مثلَها

يسوءُ وقوفٌ عندَها وتَعَرُّف

تَجِدْ حَنِقاً كالأَرقمِ[1] الصِّلِّ[2] نافخاً

وذا لبد غضبانَ في القيدِ يرسف

أَنَغَّصُ في الزادِ الذي أنا آكلٌ

وأشرق[3] بالماءِ الذي أترشّف

كما قذفَ المسلولُ من لُبَّة[4] الحشى

دماً ، أستثير الشعرَ جمراً وأقذف

---

(١) الأرقم : القلم . أخبث الحيات .

(٢) الصِّلّ والجمع أصلال : نوع من الحيات خبيث جداً .

(٣) أشرق : غصَّ وشرِق بريقه شَرَقاً : غصّ كذلك .

(٤) اللَّبّة : اللب .

وإنّي وإن مارستُ شتّى كوارثٍ

إذا راح منها مُتلفٌ(1) جاء متلف

فما حزَّ في نفسي كغدرةِ غادرٍ

له ظاهر بالمغريات مغلّف

وفرحةُ أقوامٍ شجاهُم تفوّقي

بأنّيَ عنهم في الغنى متخلّف

---

(1) أتلفه : أهلكه وأفناه .

أبا زيدون

أبو زيدون هو عبد اللطيف الشواف ، وقد بعث بها إليه لما بينهما مع صلة ود ورابطة إخاء .

أبا « زيدونَ » ما أحلى

معانيكَ ، وما أطرى

لقد أوحشتنا بُعدُكَ

لولا نعمةُ الذكرى

أبا « زيدون » والدُّنيا

يمازجُ حُلْوُها المُرا

سنبقى طولَ أعوامٍ

جِفافٍ نستقي شهرا

ألا يا ليتَ أفراسَ الصبا

المشبوبِ لا تَعرى

عمَرنا بعدَكَ الكأسَ ،

وكانت آيةً كبرى[1]

ونَصَّبنا لها « الويسكي » ،

والفستقَ ، والقِشْرا

ومحشوًّ « دُجاجٍ » حُفَّ ،

« الدُلْمَةِ[2] » كالطغرى[3]

أفانينَ ، أفانينَ بها

نستعجلُ السكرا

---

(١) كلمة كبرى أو صغرى وما شابهها لا تأتي نكرة بل معرفة ، فأما الالف واللام وأما الاضافة إلى معرفة .

(٢) الدلمة أكلة عراقيــة لا تختلف عن المحشيء المشهور في البلاد العربية .

(٣) الطغرى : علامة كانت ترسم على المناشير والمسكوكات السلطانية والعامة تسميها الطرّة .

وكانت كأسُك الأُولى

وكأسَ لقائِنا الاخرى

ودارت بعدَها الأَكوُسُ

من كُبرى ، ومن صغرى

ومالتْ عندَها صُغراً

رؤُوسٌ تأنفُ الصغرا

وأسرينا وما ندري

فسبحانَ الذي أسرى

بأخوانٍ إذا الدُّنيا

دَجتْ كانوا لها الفجْرا

صَفوْا كالنّبْعِ إعلاناً

وطابوا كالندى سرا

× × ×

ألا أبلغْ « أبا القاسم »

إنّا نعصرُ الخمرا

وإنا نقرأ الغيبَ

وإنا ننفثُ السحرا

وإنا نمسخُ الإيمانَ

حتّى يغتدي كفرا

وإنَّ العرَقَ المحْض

إذا شئنا اغتدى تمرا

وإنّا نحنُ لا الدنيا

نَسُنُ الخيرَ والشَّرا

• إنَّ الأحمقَ المغرورَ

من راحَ بِنا يُغري

فشُكراً يعقبُ السُكرا

وسُكرا يعقبُ الشكرا

وشوقاً يلذعُ الاضلعَ

حتّى خِلْتُهُ جمرا

وميثاقاً بأن نبقى

كأخوان الصفا دهرا

أبا الفرسان

ذلك هو الأستاذ عبد الغني الخليلي الشاعر العراقي الذي يطوي للجواهري كثيراً من الحب وكثيراً من التقدير فلا عجب في أن نراه راوية من رواته وحافظاً من حفاظ شعره .

أبا الفرسانِ إنّك في ضميري
وذاك أعزُّ دارٍ للحبيبِ
وبي شوقٌ إليك يَهزُّ قلبي
ويَعصرُه فيَخفقُ بالوجيبِ
وذكرُك في فمي نَغَمٌ مُصفّى
يُرتّلُ في الشروقِ وفي الغروب
سلامُ اللهِ يَعبقُ بالطيوبِ
على رَبْعٍ تَحِلُّ به خصيب

---

(١) نشرت هذه القصيدة لأول مرة في جريدة اليوم اللبنانية في العدد ٧٥٠٩ الصادر في ٢٧ شباط ١٩٦٨

ثريٍّ بالمفاخرِ والمزايا

تورّثها نجيبٌ عن نجيب

× × ×

أبا الفرسانِ إن عَقَّتْ[1] ديارٌ

عقدتُ بها شبابي بالمشيب

وذَوّبتُ الضلوعَ على ثراها

ولم أُطلبْ بها أجرَ المذيب

فلا عَجَبٌ فقبليَ ضِقْنَ ذَرْعاً

بخيرِ الناس أحمدَ والحبيب

فَذِيَّاكَ اسْتُبيحَ دَماً وعِرْضاً[2]

وذاكَ قضى بها نَحْبَ الغريب

---

(١) عقّت وأعقّت : جاءت بالعقوق والعصيان .

(٢) ابن قتيبة يقول في كتابه الجليل أدب الكاتب إن العرض ليس كما يتوهم الناس من أنه شرف الأهل والعشيرة وإنما هو النفس . وقوله صحيح جداً .

وسيمَ البحتريُّ الهونَ فيها

وغصَّ بحسرةِ التُّربِ الحريب

على حينَ استباح الغرُّ فيهـــا

بقايا السيفِ والسلب الجليب

أبا الفرسانِ لا عجبٌ فإنّا

نؤدّي فديةَ(١) البلد العجيب

---

(١) الفِدْيَة والجمع فِدىً وفِدَيات: ما يُعطى عِوَض المَفْدِيّ.
وفداه من الامر ونحوه فَدىً وفِدىً وفِداءً: استنقذه بمال أو سواه، وذاك مَفْدِيٌّ.

حيّيتهن

القيت في الحفل الذي أقامته الطالبات العراقيات ببراغ احتفاء
بيوم المرأة العالمي عام ١٩٦٢

حيَّيتُهنَّ بعيدِهِنَّه

من بيضِهِنَّ وسُودِهِنَّه

وحمدتُ شعريَ أن يروحَ

قلائداً لعُقودِهِنه

نَغَمُ القصيدِ قَبَسْتُهُ

من نغمةٍ لوليدِهِنه

كم بسمةٍ ليَ لم تكن

لولا افترارُ نَضيدهنه

ويتيمةٍ ليَ صغتُها

من دمعةٍ بخُدودِهِنه

× × ×

إنَّا وكلَّ جهودِنا
للخيرِ رَهْنُ جُهودِهنه
وحدودُ طاقاتِ الرجالِ
لصيقةٌ بحدودِهنه

وصمودُنا في النائباتِ(١)
مَرَدُّهُ لصمودِهنه

بنحوسِهنَّ(٢) نحوسُنا
وسُعودُنا(٣) بسعودِهنه
التضحياتُ الغُرُّ صُنْعُ
شُموخِهن وجُودِهنه

* * *

---

(١) النائبة والجمع نائبات ونوائب : النازلة : المصيبة .

(٢) النَّحْس والجمع نُحوس : نقيض السَّعْد .

(٣) السَّعْد : اليُمن والجمع سُعود .

قالوا « الشهيــدُ » فقلتُ :

ويحَ ثواكلٍ بوحيدِهنه

حُمِّلْنَهُ تِسعاً وخِطْنَ

عليــهِ سُمْرَ جلودِهِنه

حتى إذا مــا ردّتِ

الآمالُ بعضَ شُرودِهنه

أَوْجَدْنَــهُ وفَدَيْنَهُ

خوفَ الرَّدَى بوجودِهنه

واليومَ حــيرةَ لَحدِهِ

يحفرنَ سُودَ لُحودِهِنه

× × ×

قالوا : أما شَيءٌ لديكَ

لرُودِهن وخُودِهنه[1]

فأجبتُهم أني أخافُ

عليَّ بعضَ شُهودِهنه[2]

لِلّهِ أيَّةُ رِقّةٍ

وقساوةٍ في عُودِهنه

عمرّننا بجهودِهنه

وهدمننا بصدودِهنه

خوفَ التناقضِ لا

ألمّح عن سَرابِ وعودِهنه

---

(١) الخوْد والجمع خوْدات وخوْد . المرأة الشابة وتخوّد الغصنُ تمايل .

(٢) تلميح إلى وجود عائلة الشاعر بين الحاضرين في الحفل :

أنا أختشي منهن

فالسلطانُ عبدُ عبيدِهنه

زِنَّ الحياةَ بوعدِهنّ

وشِنَّها بوعيدِهنه

إنّي وإن سامرتُهنه

وغمزتُ من أُملودِهنه

فلربّما ليلٍ سهرتُ

مؤرّقاً لبريدِهنه

كم فتنةٍ لقديمِهن

ورِثْنَها بجديدِهنه

ألموتُ لَصقُ جُلودِهنه

والنارُ تحتَ جَليدِهنه

ومَصارِعُ الأبطال في

التاريخِ خِدْنُ[1] مهودهنه

حَسْبي بنابليونَ أن

أخشى مَصيرَ جنودِهنه

عِظَةٌ من الفولاذِ

كيف أذبنه بحديدهنه

* * *

حييتُهنَّ بعيــــدهنَّه

ولممتُ شَمْلَ عديدِهنه

وحَشَدْتُ أحسنَ ما استطعتُ

أزُفُّه لحشودِهنـــه

---

(١) الخِدْن والجمع أخدان : الحبيب والصاحب للمذكر والمؤنث . والخدين هو الخِدْن . والخُدَنة ، من يخادن الناس كثيراً . أما الفعل فهو خادن مخادنة أي صادق وصاحب .

وفجرتُ أشربُ مـــن دمي

ظمأً عروقَ وريدِهنه

منهنَّ محضُ العاطفاتِ

فهنَّ محضُ قصيدهنه

وقبستُ من سَجْعِ الحمامِ

الرجعَ من تغريدهنه

السيداتُ الآنساتُ

فقلْ بحالِ مَسودهنَّه

حييتهنَّ بعيدهنَّه

من بيضهنَّ وسُودِهنه

النّشيد الخالد

نظمت عام ١٩٢٤

تزاحمت الآمالُ حولكَ وانثرتْ
قلوبٌ عليهنّ العيونُ شواهدُ
مشتْ مهجتي في إِثْرِ طَرْفِكَ واقتفت
دليلَ الهوى. والكلُّ منهنَّ شارد
حُشاشةُ[1] نفسٍ أُجهدتْ فيكِ والهوى
يُطاردُها عن قصدِها وتطارد
أجابتْ نفوسٌ فيكِ وهي عصيَّةٌ
ولانت قلوبٌ منكِ وهي جلامد

---

(١) الحُشاش والحُشاشة: بقية الروح في المريض والجريح.

ورغَّبني في الحبِّ أن ليس خاليا

من الحبِّ إلّا باردُ الطبعِ جامد

إذا كان وحي الطرفِ للطرفِ مُدلياً

بأسرارِ قلبينا فأينَ التباعد

خليليَّ ما بالعينِ في الحب ريبةٌ

إذا كَرُمَتْ للناظرينَ المقاصد

ولي نزعاتٌ أبْعَدَتْها عن الخنا

سَجِيَّةُ نفسٍ هذَّبتها الشدائد

أقاويلُ أهلِ الحبِّ يفنى نشيدها

وأما الذي تُملي الدموعُ فخالد

وما الشعرُ إلّا ما يُزانُ به الهوى

كما زَيَّنت عُطلَ[1] النحور القلائد

---

(١) عَطِلَت المرأة عَطَلا وعُطولاً : لم يكن عليها حَلْيٌ ، فهي عاطل وعاطلة وعُطُل وعَطْلاء ومعطال .

أحييك طه ..

ألقيت في المأدبة التي أقامها للوفود العربية الدكتور طه حسين باسم الوفد المصري ، وقد كان برآسته في المهرجان الالفي لذكرى أبي العلاء المعري بدمشق .

أُحيّيك «طه» لا أُطيلُ بِكَ السَّجْعا

كفى السَّجْعَ فخراً مَحْضُ إسمِكَ إذ تُدْعى

أُحيّيك فَذًّا في دِمَشقَ وقبلَها

ببغدادَ قد حَيّيتُ أفذاذَ كم جَمْعا

شكرناكَ: أنا في ضيافةِ نابغٍ

نُمتعُ منه العينَ والقلبَ والسَّمْعا

ذَرَفْتُ ــ على أن لا يرانا بطَرْفِهِ

وان حسّنا بالقلب ـ من أَسَفٍ دَمْعا[1]

---

(١) معنى البيت : ذرفت الدمع أسفاً على أن لا يرى الدكتور طه بعينه هذه الجموع المحتشدة عنده والمحيطة به وإن كان يحسها بقلبه وروحه .

وكنا على آدابِك الغُرِّ قبلَها

ضيوفاً فما أبقيتَ في كَرَمٍ وِسْعا

نهضتَ بنا جيلاً وأبقيتَ بعدَنا

لأَبنائِنا ما يَحْمَدونَ بهِ المسعى

× × ×

أبا الفكرِ تستوحي من العقل فَذَّهُ

وذا الأَدبُ الغَضُّ استثرتَ به الطَّبْعا

ويا سِحْرَ موسى - إنّ في كلِّ بُقْعَةٍ

لما تجتلي من آيةٍ حيةً تَسعى

لكَ اللهُ محمولاً على كلِّ خاطرٍ

ومن كلِّ قلبٍ رُحتَ تحتَلهُ تُرعى

أُنبِّيكَ أن «الرافدينِ» تطلَّعتْ

ضِفافُهما واستنهضَ الشجرُ الزرعا

نمى[1] خبرٌ أن سوف تسعى إِليهما

فكاد إِليك النخلُ من طَرَبٍ يَسعى

وقد نذَر الصَفصافُ وارفَ ظلِّه

عليك وأوصى - ان يُساقيَكَ - النبعا[2]

هَلمَّ لشُطآنِ[3] الفُراتينِ واسْتمِعْ

أهازيجها تستطرفِ المعجِزَ البَدعا[4]

وطارِحْ به سجعَ الحمامِ فانه

لُهاثٌ على الجرْحى نُواحٌ على الصرعى

---

(١) نَمى الخبرُ : وصل ونَمّي الحديثَ إِليه : عزاه يه .

(٣) الشاطىء والجمع شواطىء وشُطآن .

(٢) النبعا : مفعول لاوصى .

(٤) البَدْع : الطريق المعجب .

وواسِ عليه الرازحينَ من الهوى

وَطَيِّبْ هناك النازعاتِ[1] به نزعا

هناك تلمَّسْ (ضائعَ الحب[2]) وافتقِد

ضحاياه وارأبْ[3] للقلوبِ به صَدعا

وجدِدْ لنا عهدَ المعريِّ : إنَّه

قضى ، وهوى بغدادَ يلذُعه لذعا[4]

وكنا إذا ضاقتْ بلادٌ برائدٍ

أتانا فلا المُرتادَ ذمَّ ولا المرعى

---

(١) النازعات : من أدر كهن الموت .

(٢) هو كتاب طه المعنون ـ الحب الضائع ـ

(٣) رأبَ الصدْع رأباً : أصلحه .

(٤) إشارة إلى بيت المعري في ـ وداع بغداد ـ

أودعكم يا أهل بغداد والحشا على جمرات ما ينين من اللذع

إلى الآن في بغدادَ نستافُ مِسكةً[1]

لناقتهِ مما أثارتْ بها نقعا[2]

ونمزجُ من ماءِ الفراتينِ جَرعةً

بذكراهُ مما عَبَّ من صفوهِ جرعا

ونهوى السفينَ الحائرات كأنّها

سفينتُه إذ تشتكى الأَيْنَ[3] والضَلْعا[4]

أَجلْ قد خطفناها مخافةَ فُرْقَةٍ

وخشيةَ إزماعٍ نضيق به ذرعا

---

(١) المسكة : الطينة العطرة .

(٢) النّقْع والجمع أنقُع : الماء المستنقِع أي المتجمع . والجمع نِقاع : الارض الحرّةُ الطين يستنقع فيها الماء .

(٣) الاين : التعب .

(٤) الضّلْع : الميل والعوج .

وضاقَ به ذرعاً وحسبيَ شاهداً

(نبيٌّ من الغربانِ لا يعرفُ الشَّرْعا[1])

هَلُمَّ إلى بغدادَ لا تَخْشَ خاطفاً

فإنا نَسَجْنا من (فريدٍ[2]) لك الدِّرْعا

سنحجزُه نرتادُ ذكراكَ عندَه

وينفحُنا من طيبِ أنفاسِك الرَّدْعا[3]

(١) اشارة إلي مطلع قصيدة أبي العلاء المعروفة في وداع بغداد والتي مر ذكر البيت السابق منها هو :

نبيٌّ من الغربان ليس على شرع يذكرنا أن القلوب إلى صدع

(٢) هو الاستاذ فريد شحاته الذي كان وما فتيء منذ عقود من السنين عين الاديب العظيم وقلمه .

(٣) الرَّدْع : الزعفران وأثر الطيب في الجسد .

« جدول الخطأ والصواب »

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠	١	بلى	نعم
٢١	٢	هواكُمْ	هوائُكمُ
٢٥	٥	الأمّ	إلّا همّ
٢٥	٥	اعنّيها وتعنّيني	أُعنيها وَتعنيني
٣٢	٢	داودِ	داودَ
٣٤	١	منّبي	منّيني
٣٤	١	وألهميني	وألهمينيَ
٣٦	٦	هرّا	هرّا
٣٨	٣	بحمي	بلحمي
٤٠	١	السيوَرِ	السّوَرِ
٤٢	٦	وَملاءمةٍ	وَمْلأَمَة
٤٢	٧	الفكرَ	الفكرِ
٤٣	٦	مقياسٌ	مقياسُ
٤٤	٤	وسمتْها	وسمتُها
٤٤	٥	أظمي	أُظمي
٤٥	٢	يدرّى	يُدّرى
٤٧	٦	فتوديني	فتؤويني

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٨	٢	ومستدقّ	ومستدقٌ
٤٩	٣	كلّ	كلُّ
٥٥	١	صبحُ	الصبحُ
٥٦	٥	الأزَمُ	الإزَمُ
٥٨	١	أن	إن
٦٠	١	قاموك	قاموسك
٦٠	٥	الفخمُ	الفخمَ
٦٢	١	ترتصم	ترتطم
٦٢	٤	يصصلم	يصطلم
٦٤	١	ضرّمه	ضرّمه
٦٦	٥	في يوم توزن اقدار لقيتها لا الصلب يلغى ولا السفساف يغتنم	في يومَ توزنُ اقدارٌ لقيّتها لا الصلبُ يُلغي ولا السفساف يغتنم
٧٨	٣	كل قطر في العرس منه وفي المأتم شعرٌ بـــه اح ويُشدا	كلٌّ قطرٍ في العُرسِ نه وفي المأتم شعرٌ به يناح ويُشدا
٧٩	٢	شلنُ	شلنَ
٩١	٦	حتى م	حتّامَ
٩٨	٣	النضارِ	والنضارِ
٩٩	٣	تراكُم	تراكَمُ
١٠٣	١	هافتون	يتهافتون
١٠٦			

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٦	٢	واسجن	والسجن
١٠٦	٣	كِنّالكم نقم النذيرُ	كُنالكمْ نعْمَ النذير
١٤٥	٢	وحوش	الوحوش
١٦١	٢	صديقة	صديقه
١٦٣	١	أُغن	أَغن
١٦٥	٦	ورّثتك	ورّثتك
١٦٦	٥	يومُ	يومَ
١٦٨	٥	دَرُبه	درَبه
١٦٩	٧	جِفن	جَفن
١٧٠	٦	غايةَ	غايةُ
١٧٣	٢	أبنوا	أَبنُو
١٧٤	٢	الشِعبُ	الشعبِ
١٧٦	٢	لم تَخُنّ	تَخُنّي
١٧٨	١	جُراح	جِراح
١٧٨	٤	ويُهتف	ويَهتف
١٨٣	٤	ويا نبساً	ويا قبساً
١٨٤	١	جُراحك	جِراحك
١٨٤	٥	وربّتُ	وربّتْ
١٨٧	٤	مُلْهَبُ	مُلْهَبُ
١٨٩	٢	شمالَ	الشمالَ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٩٠	٦	الأباةَ	الأباةُ
٢٠١	٢	وأن سُقُوا	وإنْ سُقُوا
٢١٣	١	ضر	ضربا
٢٢٣	٣	وَمحدَع	ومخدع
٢٢٣	٦	إنظموا	أُنظموا
٢٣٤	٢	أطاراً	إطارا
٢٣٦	٦	مستصارا	مستطار
٢٣٧	١	أن	إن
٢٤١	٥	غريان	غريبان
٢٤٤	٦	يشتمُ	يشتمْ
٢٤٨	٧	يا غريبُ الدار	يا غريبَ الدار
٢٥٥	١	كثيرِ	كثيرُ
٢٦٤	١	سُؤَر	سُؤْر
٢٦٥	٢	تمنّيهم	تمنّوا
٢٦٨	٤	مسكِين	مسكّن
٢٦٩	٤	هَز جُ إذاماالورق ُحن ّلأنني	هَزِجٌ اذاماالورق يحِن ّلأنني
٢٧١	٣	هِبيّ	هُبّي
٢٧١	٤	صبحٌ الآمالِ	صبح الأمالي
٢٧٧	١	تي	أتي
٣٧٨	٤	ات	لهاثٌ

الفهرس